وظائف التواصل عند العرب الأوائل

أ.م.د.معمر منير العاني
الباحثة إيمان سليم يوسف
الجامعة العراقية كلية الاداب

Communication functions of the first Arabs

Dr. Muammar Mounir Al-Ani
Researcher Iman Salim Youssef
Iraqi University/College of Arts

ملخص البحث

هذه دراسة مستلة من أطروحة دكتوراه عنوانها (النظرية التواصلية بين علم اللغة الحديث وجهود علماء العرب)، عرضت فيها لجهود علماء العربية في ما يعرف اليوم بالاتصال والتواصل، متطرقة الى وظائف التواصل عند العرب الأوائل، وقد تناولت فيها جانبين: الأول معرفة العرب بالوظائف الست التي ذكرها ياكبسون، وكيف تطرقوا إليها في مؤلفاتهم، ولكن المصطلحات والمفاهيم تختلف عن مسميات اليوم. والجانب الآخر الوظائف التي أضافها العرب، انطلاقا من خصوصية لغتهم، وتوجهاتهم الفكرية والعقيدية والثقافية، وقد وقفت على سبع وظائف أضافها العرب هي : وظيفة الإبانة، وظيفة القصدية، وظيفة تمام الكلام، الوظيفة التفسيرية أو التأويلية، الوظيفة التعليمية، الوظيفة المعجمية، وظيفة التعمية (الألغاز النحوية). وصولا الى القول بوجود نظرية تواصلية ثاوية خلف التفكير اللغوي العربي في حينه.

Abstract

This is a study drawn from a doctoral thesis entitled (The communicative theory between modern linguistics and the efforts of Arab scholars), in which I presented the efforts of Arab scholars in what is known today as communication and communication, dealing with the communication functions of the early Arabs, I dealt with two aspects: the first is the Arabs 'knowledge of the six jobs mentioned by Jakobson, and how they dealt with them in their books, but the terminology and concepts differ from today's names. On the other side, the jobs added by the Arabs, based on the specificity of their language, and their intellectual, ideological and cultural orientations, and it stood on seven functions added by the Arabs: the function of clarification, the function of intentionality, the function of perfect speech, the interpretive or interpretive function, the teaching function, the lexical function, and the blinding function (Grammar puzzles). Down to saying that there was a communicative theory behind the Arab linguistic thinking at the time.

توطئة :

ما ينفك الاهتمام باللغة ودراستها ينال اهتمام مستعمليها، منذ نشأة الدراسات اللغوية حتى يومنا هذا، وحتى يشاء الله؛ لأنها وسيلة التواصل بين التجمعات البشرية، لنقل الأفكار والتفاهم والاستيضاح ونشر العلم وتبادل العواطف، وكل ما يمكن أن يخطر في أذهاننا مما يتعلق بالجماعات البشرية، من كشف مكنوناتهم. فمنذ أن نشأت اللغة والغاية التواصلية حاضرة في ذهن من ابتدعها، إلهياً كان مصدرها أو بشرياً، بل لا أغالي إذا قلت إن الهدف من إيجاد اللغة هو التواصل، كما ورد في تعريف ابن جني المعروف للغة (أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم). (ابن جني، 1990، 34/1) مثلما ان الغاية من إيجاد الخليقة بعد أداء حق الله بالعبادة، التعارف والتواصل، ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا)) الحجرات/13؛ لأن التواصل السليم غاية من غايات الخلق، ولأن كل المخلوقات لا بد أن تنتظم في جماعات بشرية، كان من الضروري أن يكون هناك سبيل الى التواصل بينهم، والاهتمام بالتواصل غاية الأمم والشعوب؛ فهو الذي يجعل لحياتهم استمرارا وشأنا، فكل الاهتمامات اللغوية منذ القدم، عند جميع الشعوب والأمم إغريقية ورومانية وصينية وعربية.... وغيرها، كانت ترتبط بدراسة التواصل البشري، ومعرفة آلياته، وتحليلها، وذكر السليم من هذه الآليات والتشجيع على اتباعه والتمسك به؛ لأننا لا يمكن لنا أن نتخيل مجتمعا من دون تواصل، بشريا كان هذا المجتمع أو غير بشري.(القريشي،2018، 47) وتُعد التوطئة في البحث العلمي مدخلا تأسيسيا للموضوع، ويلقي الضوء على كل الجوانب والمقاربات التي يمكن أن تكون متصلة بالموضوع الرئيس – وهو في دراستنا يمثل الاتصال والتواصل (التواصلية)- كان لا بدَّ لي من الوقوف عند منطلقات مهمة، من الضروري جدا تحديدها قبل الولوج الى بسط القول في الاتصال والتواصلية عند العرب، قبل أن أصل الى الوظائف التي أضافها العلماء العرب الى التواصل، التي تعد من خصوصيات التواصل العربي، فضلا عن الوظائف الست التي عرفها الدرس التواصلي اليوم.

الاتصال والتواصل، التنظير المعجمي والمفهوم الاصطلاحي:

معجميا:

البحث في مفهوم الاتصال والتواصل في اللغة يحيلنا على المادة الثلاثية (وصل)، قال الخليل (كلُّ شيءٍ اتَّصَلَ بشيءٍ فما بينَهما وُصْلَةٌ. ومَوْصِل البعير: ما بين عَجُزه وفَخِذه... واتَّصَلَ الرجلُ أي انتَسَبَ) (الخليل والأزهري والصاحب، معاجم،(صلى))أي أن الاتصال ترابط وتتابع بين اثنين أو شيئين فأكثر، وحمل الخليل النسب على ذلك لأن النسب اتصال وترابط في الآباء والأجداد. ونقل صاحب لسان العرب المعاني التي ذكرتُها آنفا نفسَها، قال (وصل: وَصَلْتُ الشيء وَصْلاً وَصِلةً والوَصْلُ ضِدُّ الهِجْران، ابن سيده الوَصْل خلاف الفَصْل وَصَل الشيء بالشيء يَصِلُه وَصْلاً وَصِلةً وصُلَةً الأخيرة عن ابن جني،... ووَصَّلَهُ كلاهما لأَمَهُ، وفي التنزيل العزيز (ولقد وَصَّلْنا لَهُمُ القَوْلَ. القصص/51) أَي وَصَّلْنا ذِكْرَ الأَنْبياء وأَقاصِيصَ من مَضَى بعضها ببعض لعلهم يَعْتَبرون، واتَّصَلَ الشيءُ بالشيء لم ينقطع... ووَصَلَ الشيءُ إِلى الشيء وُصُولاً وتَوَصَّل إِليه انتهى إِليه وبَلَغه...ووَصَّله إِليه وأَوْصَله أَنهاهُ إِليه وأَبْلَغَهُ إِياه... وفي التنزيل العزيز (إِلاَّ الذين يَصِلون

إلى قوم بينكم وبينهم ميثاقٌ. النساء/90) أَي يَتَّصِلون، المعنى اقتُلوهم ولا تَتَّخِذوا منهم أَولياء إِلاَّ مَنِ اتَّصَل بقوم بينكم وبينهم مِيثاق واعْتَزَوْا إِليهم) (ابن منظور والفيروزابادي والزبيدي، معاجم، (وصل)) والواصلة التي وردت في حديث رسول الله عليه السلام، وقيل هي التي تصل شعرها بشعر آخر (روي عن عائشة(رض) أنها قالت ليست الواصِلةُ بالتي تَعْنون، ولا بأْسَ أَنْ تَعْرَى المرأَةُ عن الشعَر فتَصِلُ قَرْناً من قرُونها بصُوفٍ أَسوَد، وإِنما الواصِلة التي تكون بغيّاً في شَبيبَتِها فإِذا أَسَنَّتْ وصَلَتْها بالقِيادة، قال ابن الأَثير، قال أَحمد بن حنبل لمَّا ذُكِر ذلك له، ما سمعت بأَعْجَب من ذلك) (ابن منظور، معجم، (وصل)) وهذا اتصال معنوي لا مادي ملموس،و (قال الليث كلُّ شيء اتَّصَل بشيء فما بينهما وُصْلة والجمع وُصَل ويقال وَصَل فلان رَحِمَه يَصِلها صِلةً وبينهما وُصْلة أَي اتِّصال وذَرِيعة... وتوصَّلا بمعنى توسَّلا وتقرَّبا والوَصْل ضد الهجران والتَّواصُل ضد التَّصارُم...) (ابن منظور والفيروزابادي والزبيدي، معاجم، (وصل)) وهي المعاني نفسها التي فهمناها من قول الخليل. فالمادة اللغوية ومشتقاتها معقودة للتتابع والانتهاء الى الشيئ وبلوغه. قال ابن فارس (الواو والصاد واللام: أصلٌ واحد يدلُّ على ضمِّ شيءٍ إلى شيءٍ حَتَّى يَعْلَقَه.) (ابن فارس، معجم، (وصل))

أما صيغة (تواصَلَ وتواصُل) فوردت في المعجمات العربية، ويسمى الحبل: التواصل (الأزهري والفيومي، معجمان، (حبل)) والتواصل هو الاقتراب والدنو وهو ضد البعد (الخليل، معجم، (قرب)) (والتَواصُلُ: ضد التصارُمِ. ووَصَّلَهُ تَوْصيلاً، إذا أكثر من الوصل. وواصَلَهُ مُواصَلَةً ووِصالاً) (الجوهري وابن منظور، معجمان، (وصل)) وقال الزمخشري (وصرمني بعد الوصل والصلة والوصال، وتصارموا بعد التواصل)(الزمخشري، معجم، (وصل)) فالمعنى اللغوي لكلمة وصل وتواصل هو ارتباط شيء بشيء وتتابعه ووصوله اليه، وعدم انقطاعه عنه. ووردت كلمة تواصل مرتبطة بـ (تواصى) في كتب اللغة، قال ابن دريد (وتَواصَى القومُ، إذا تواصلوا. وكل شيء تَواصل فقد تَواصى. يقال: تَواصى النبتُ إذا اتصل تواصياً، فهو نبت واصٍ ومُتَواصٍ، أي متَّصل.) (ابن دريد وابن فارس، معجمان، (وصي)) ويبدو أن ثقافة التواصل عند العرب كانت مفهومة، وكانوا يعرفون أن كل تواصٍ هو تواصل، أي أنك إذا حدثت نظيرك بحديث فقد واصلته، وإذا نقلت اليه أفكارك وغايتك فقد تواصلت معه، وفي قوله تعالى (وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ. البلد 17) قال الزمخشري (أوصى بعضهم بعضاً بالصبر على الإيمان والثبات عليه. أو بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات والمحن التي يبتلى بها المؤمن، وبأن يكونوا متراحمين متعاطفين) (الزمخشري، 2005، 1204)

وأكثرت المعجمات وكتب اللغة من تناول البيت الشعري الذي وردت فيه صيغة (تواصَلَ)،قال الشاعر (النابغة الجعدي) (النابغة-الديوان، 1998، 39، والجوهري، معجم، (خلا)، وابن منظور، معجم، (رحب))

وكيف تُواصِلُ من أَصْبَحَتْ ... خِلالَتُهُ كأبي مَرْحَبِ

وأبو مرحب: كُنيةُ الظلّ، ويقال هو كنيةُ عُرقوبٍ الذي قيل فيه: مواعيدُ عرقوبٍ (الجوهري، معجم، (خلا) وتاج العروس، معجم، (شرب)) (وسَيرُ الميقابِ: أن تواصِلَ

بين يومٍ وَليلَةٍ) (الفيروزابادي، معجم، (وقب)) وقال الشاعر (الصاحب شرف الدين- الديوان، 1968، 200):

لنا من رَبَّةِ الخالين جارَهْ ... تُواصِلُ تارةً وتَصُدُّ تارَهْ

وقال شاعر آخر (الأعشى الكبير-الديوان،1977، 227):

إنّ الغَوانِي لا يواصِلْنَ امْرَأ ... فقَدَ الشَبابَ وقد تُواصِلُ أَمْرَدَا

ويبدو أن صيغة (تواصَلَ وتواصُل)، يراد بها –لغويا- الاتصال بالآخر والوصول اليه، واستمرار العمل، وهي اليوم يراد بها إيصال المراد الى الآخر، وإبلاغه إياه. أما المصدر الصناعي (التواصلية) فلم أقف عليه مما اطلعت عليه من معجمات عربية. ويبدو أنها استعمال حديث، جيئ به وصفا لكلمة (النظرية) المعرفة بـ (ال)،(النظرية التواصلية)، وإذا جُردت النظرية من (ال) وأُضيفت، لاستُغني عن المصدر الصناعي، فيقال (نظرية التواصل)، التي –وكما يرى د.ابراهيم خليل- تمثل البحث عن العلاقة بين اللغة ووظائفها المتعددة (ابراهيم خليل، 2014، 27) .

التواصل اصطلاحا:

سنقف على تعريف الاتصال كلما بحثنا عن تعريف التواصل، ما بين مفرق بينهما، أو غير مفرق، ولا يمكن لنا بحال الوصول الى التواصل قبل المرور بالاتصال؛ لأن التواصل (التواصلية) غاية الاتصال –في الغالب-، ولا يمكن أن نجد تواصلا من دون أن يكون هناك اتصال، وقد يراد بالاتصال التواصل عند بعض الباحثين (دهش، 2017، 133-134) والاتصال مصدر الفعل اتّصل، وأصله اوتصل. ومن عبارة الخليل التي أوردناها في المفهوم اللغوي (كلُّ شيءٍ اتَّصَلَ بشيءٍ فما بينَهما وُصْلَةٌ)، نستخرج الحدث من الفعل (وصل، اتصل) وهو (الاتصال)، ونفهم أنه لا يكون الا مشاركة بين اثنين فأكثر، بشراً أو غير بشر، لأن الخليل عبّر بكلمة (شيء) الدالة على العموم، وقوله (وما بينهما وصلة) أي قناة رابطة لحدث الاتصال. ويشترك التواصل مع مجموعة من المصطلحات تشاركه الدلالة على المقصود به، منها الإيصال والاتصال والوصل والتواصل –وكلها من جذر واحد-، ومنها الإبلاغ والإخبار والتخاطب (المخاطبة) والتحاور (المحاورة)، وقد حاول طه عبد الرحمن التمييز بين الفئة الأولى ذات الجذر المشترك، إذ جعل التواصل مقولة كبرى، تشمل الوصل الذي هو نقل الخبر، والإيصال الذي هو نقل الخبر مع اعتبار المخبِر، والاتصال الذي هو نقل الخبر مع اعتبار المخبِر والمخبَر اليه معاً (د.طه عبد الرحمن،1998، 254) وأضاف الباحث د.نعمة دهش (من جهتنا التوصيل الذي هو نقل الخبر مع اعتبار المخبر والمخبر اليه والمخبَر عبره أيضا) ((دهش، 2017، 132) وقد نقل باحث آخر فروقا بينهما قائلا (والتَّواصل بعدِّهِ مصطلحاً لسانيّاً يتزاحم مع مصطلحات أخرى ويتداخل معها، منها الاتصال، ويرى بعضهم أنّ بين مصطلحي الاتصال والتَّواصل خصوصاً وعموماً؛ فالاتصال يكون من جانب واحد دون الآخر، في حين أنَّ التَّواصل يكون أعمّ من ذلك عندما يكون المُتَكَلِّم فيه مستقبلاً والمستقبلُ مُرْسلاً فاعلاً ومنفعلاً ، كما نجد من لا يفرّق بين المصطلحين ويجعلهما بمثابة المترادفين) (علي جواد، أطروحة 2018، 10) وإنني لا أفهم كيف يكون اتصال من طرف واحد، وقد عرفنا من جذر المادة اللغوية، ومن كل مشتقاتها دلالة التشارك، فإن لم يكن هناك طرف آخر للاتصال فما الغاية

من الاتصال إذن؟ حتى في الحالات التي يجرد المتكلم من نفسه ذاتا يحاورها فبذلك يوجد طرف آخر مفترض. ونقل الباحث عمر عبد الرحيم عدة تعريفات غربية للاتصال، فهو عند (تشارلز كولي) الآلية التي توجد بها العلاقات الإنسانية وتتطور بالرموز، والاتصال عند (ريتشاردز) عندما يؤثر عقل في عقل آخر، بغية إحداث خبرات وغايات في عقل المتلقي، تتلاقح وتلك الموجودة في عقل المرسِل. وعند (جورج لندبرغ) الاتصال تفاعل بين المرسل والمتلقي، بوساطة الرموز والاشارات يهدف الى إثارة سلوك معين عند المتلقي، وهو لا يختلف كثيرا عن مفهوم ريتشاردز -كما أرى-، وهو المفهوم نفسه عند (كارل هوفلاند)، أما (فرانك دانس) فربط الحدث التواصلي بين المرسل والمتلقي بالوضع الاجتماعي، وغايته نقل الأفكار والمعلومات بين الأفراد المتواصلين في موضوع معين (عمر عبد الرحيم، 2001، 30-31 والحارثي،2014، 51) ويبدو لي من التعريفات آنفا وجود خلط بين الاتصال والتواصل، فالاتصال كما فهمته من تشارلز كولي هو الية مشاركة في الحدث الاتصالي، قبل حدوث التواصل نفسه، أي إقامة حدث اتصال مع شخص آخر وقبله لم يكن هناك اتصال بين الاثنين، أما عند ريتشاردز ولندبرغ وهوفلاند فصار الاتصال تواصلا! لأنه قام على عملية التأثير المباشر في الآخر، وكان ينبغي أن تكون هناك آلية للاتصال ثم يكون تواصل، وهذا ما اتضح عند فرانك دانس، إذ جعله وضعا اجتماعيا –أي حدوث اتصال أولا- يقود الى التواصل. والى المفهوم الأول – الخلط - ذهب السيد العربي يوسف (السيد العربي، على الانترنت، 29) وسنجد في بيان مفهوم التواصل (التواصلية)، آراء كثيرة، تختلف باختلاف منطلقاتها، ولكنَّ اتفاقا لسانيا على أن سوسير مؤسس التواصل اللساني، ورومان ياكوبسون يُعد المنظّر له (الركيك محند،على الأنترنت،64) وقد اعترف اللسانيون البنيويون لسوسير بالسبق في تأسيسه نظرية التواصل ((الركيك محند،على الأنترنت،64) وعلى الرغم من أن دي سوسير لم يعقد فصلا مستقلا في كتابه (محاضرات في الألسنية العامة) يتحدث فيه عن التواصل صراحة، فأنه أشار اليه وهو يتحدث عن ثنائية اللغة/الكلام، او ما اسماه بـ (مدار الكلام) (الركيك محند،على الأنترنت،64 والقريشي، 2018، 15-16) (فالتواصل مصطلح لساني، يدور ذكره اليوم كثيرا، كلما ذُكرت وظائف اللغة، وقيمة هذا التواصل تكمن في المنهج التداولي اليوم، وفي فهمه وأساليبه وآلياته) والقريشي، 14،2018) والتواصل في المفهوم اللساني (لا يعدو ان يكون تمريرا لفكر من شخص لآخر او من زمن لآخر، او من مكان لآخر، بوسيط، وخير الوسائط وأقدرها على الوفاء بهذه المهمة هي اللغة مع عدم التقليل من منزلة ومكانة النظم الاتصالية الأخرى) (مرتاض عبد الجليل، 2001، 78-79) وسنجد التواصل بالرموز والإشارات والكلمات وبأشياء متعددة، أي لسانية وغير لسانية، ولكن (للكلمة الريادة التواصلية على بقية الأنماط الأخرى، على مستوى تأثيرها الفعال في العملية التواصلية وأثرها البالغ في المتلقين، وهذا يعني أنه يمكن للتواصل أن يتم بالحركة وبالضوء وبالكهرباء وبالألوان وغيرها، إلا أن هذه الأشكال من التواصل غير اللساني تُؤوّل في النهاية بوساطة أدلة لغوية، من دونها لا يمكن للعقل أن يشتغل ويفكك الإرسالية؛ لأنه لا يوجد فكر من دون لغة، وهكذا، فالضوء الأخضر يقول لي: مُرْ، والضوء الأحمر يقول لي: قفْ، والميزان المعلق فوق جدران المحكمة يشير الى رسالة تقول: "هنا العدالة"،

أو "هنا القضاء"، واللون الأسود حين تلبسه امرأة توفي زوجها هو لغة، تعني " أنا في حداد".) (دهش، 2017، 132) بل هناك ما هو أبعد من ذلك، تحت مفهوم أن كل شيء يتلقاه المتلقي هو تواصل وإن لم يكن منطوقا ولا حركة ولا إيماءة، بل السكوت نراه لغة معبرة في وضعه الاجتماعي والتداولي، وأوسع من ذلك ما ذكره (شارل كولي) في التواصل، إذ قال (التّواصل هو الميكانيزم الذي بواسطته تُوْجَد العلاقاتُ الإنسانيّة وتتطور .إنَّه يتضمن كلَّ رموز الذهن، مع وسائل تبليغها عبر المجال، وتعزيزها في الزمان. ويتضمن أيضاً تعابير الوجه وهيئات الجسم والحركات ونبرة الصوت والكلمات والكتابات والمطبوعات والقطارات والتلغراف والتلفون، وكل ما يشمله آخر ما تم في الاكتشافات في المكان والزمان) (جميل حمداوي، 2015، 10) لذلك (فإن تصور مونان المتمثل في أنه ليس كل شيء لغة يبقى خاطئا؛ لأن كل لغة تواصل، وكل تواصل لغة، وهو ما أكدته اللسانيات الوظيفية، حيث جعلت الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل) (دهش، 2017، 132)) فالتواصل اللفظي الذي يعد أكثر أنواع التواصل شهرة هو (تبادل كلامي بين متكلم ينتج ملفوظا او قولا او مخاطِبا به متكلما آخر، يرغب في السماع والحوار، وذلك تبعا للنموذج اللفظي الذي صدر عن المتكلم، وهو -أي التواصل- خبر يُنقل من نقطة الى أخرى بوساطة رسالة قابلة للتحليل والاستيعاب، بوسيط ربما يكون هذا الوسيط وسيلة سمعية او بصرية او لقاء مباشرا او مدونة او صحيفة او دورية او كتابا) (إبراهيم خليل، 2014، 28) والتواصل زيادة على ما قيل (نقل أو توصيل أو تبادل المعلومات أو الأفكار بالكلام أو الكتابة أو بالإشارات)(إبراهيم أبو يعقوب، 17) والتواصل عند هارتمان وستوك هو الاتصال نفسه، وهو (نقل المعلومات من نقطة الى نقطة أخرى، وهو يعد من أهم الاستخدامات الرئيسة في لغة الانسان، والاتصال يتطلب مرسِلا ومخاطَباً "مستلما أو مستمعاً" وقناة تكون واسطة لنقل المعلومات. والاتصال إما أن يكون لغويا "باستخدام إشارات لغوية" أو غير لغوي "باستخدام حركات أو إشارات غير لغوية كحركات أعضاء الجسم مثلا، وعملية الاتصال هي نقل رسالة من متحدث أو مرسِل الى مرسل اليه، أو أشخاص عدة، والرسالة يجب أن تحتوي على نظام إشارات معروفة من المرسل والمرسل اليه، ونقل هذه الإشارات يتطلب أيضا قناة)(هارتمان، 2012، 86-87)

أهمية التواصل وأهدافه:

من سعة التعامل مع الاتصال في الجماعات البشرية، وانتظار التواصل منه، يمكن أن نلمس أهميته في الحياة اليومية على مستوى الخطاب، أو النص، أو المحاورة، لأن الناس في محادثاتهم وتواصلهم اليومي يرومون من وراء ذلك تحقيق أغراض وقضاء حاجات تتنوع تبعا للوضعية التواصلية وللأطراف المتواصلة، واللغة هي التي تحقق غايات التواصل وأهدافه، ومن بين تلك الأهداف الآتي (ميساء أبو شنب والعتيبي، 2015، 63): الاكتشاف: حيث يكتشف الإنسان ذاته والعالم المحيط به، ولقد لخص العالم كلينك هذا المفهوم وأهميته بقوله:"إن الوعي بالذات هو قلب كل تواصل"، ومنها الاقتراب والتقارب :ويتحقق من خلال ربط علاقات حميمة مع الاخرين وصيانة هذه العلاقات وتقويتها. ومنها الاقناع والاقتناع: قد يتوهم الواهم أن الهدف يتحقق خصوصا في المجال التجاري أو الحقوقي، إلا أنه مصاحب للسلوك الإنساني في كل تفاصيل حياته، القائمة على تبادل

المصالح عبر قناة التفاوض (عبد النور القلعي، 2012، على الانترنت ورفيق لبوحسيني، 2015، 65 ورافد صباح وبلال ابراهيم، 2015، 272) ويمكن أن نجمع كل ما يقال له أهمية التواصل، أو جدواه أو فائدته أو وظيفته أو أهدافه، تحت عنوان أهمية التواصل وأهدافه، وقد توسعت المصادر التي تناولت هذا الجانب، في إيراد نُقَط الأهمية، ومن ذلك التحصل على المعلومات من الآخرين، والتعليم والتعلم، ودخوله في العملية التربوية من مداخل شتى ومتعددة، والتبليغ والإخبار، والتبادل المعرفي والثقافي تحقيقا للتكامل، ومن ذلك أيضا تحقيق الذات والرضا النفسي، والمتعة والترفيه، والتآلف الاجتماعي، أو التعبير العاطفي والنفسي. (الحارثي، 2014، 54-56 والسيد العربي، 12، على الأنترنت) فضلا عن الإقناع المرتبط بالحجاج (السيد العربي، 12، على الأنترنت) وهذا كله من بعد الوظائف الستة التي ذكرها جاكبسون للاتصال. ويمكن أن نضيف بعض الأهمية الملقاة على العملية التواصلية عند هارتمان وستوك (هي استخدام اللغة لفهم المعلومات بين المتحدث "أو الكاتب" والمستمع "أو القارئ) (هارتمان، 2012، 87) ويرى طلعت منصور أن وظيفة الاتصال (تتسع لتشمل آفاقا أبعد، فكثير من الباحثين يتناولون الاتصال كوظيفة للثقافة، وكوظيفة للتعليم والتعلم، وكوظيفة للجماعات الاجتماعية، وكوظيفة للعلاقات بين المجتمعات، بل ويعتبرون الاتصال كوظيفة لنضج شخصية الفرد، وغير ذلك من جوانب توظيف الاتصال) (طلعت منصور، 1980، 108) ومنذ بدأ الاهتمام بالتواصل ودراسته في العصر الحديث صار يرتبط بكل ما من شأنه تطوير التواصل أو ربطه باتجاهات لغوية أو فكرية، فعندما (أُعلن عن ميلاد السميولوجيا باعتبارها علما جديدا سيأخذ على عاتقه دراسة ما استعصى على الضبط والتحليل من خلال ما توفره العلوم الأخرى سارع الكثيرون الى ربط هذا العلم بالتواصل الإنساني فالسيميولوجيا في تصورهم هي علم يختص بدراسة ما يعود الى الظاهرة التواصلية في شكلها اللفظي أساسا. فالعلامات هي أدوات يستعملها باث بشكل قصدي من أجل التواصل مع متلق ضمن دورة كلامية تكفّل سوسير مبكرا برسم حدودها في كتابه محاضرات في اللسانيات العامة وهي الخطاطة التي قادت الفرسان الثلاثة (ج.مونان ول. بريتو وإ.بويسنيس) الى الدعوة الى التخلي عن عالم الدلالة والاكتفاء برصد ووصف وتحليل حالات التواصل اللفظي منه بالأساس) (سعيد بنكراد، 2004، 4).

المنحى التداولي والتواصلية:

شاع في الدرسات اللسانية اليوم مصطلح التداولية، وهو ترجمة لكلمة (pragmatic)، ويعود الفضل في وضعه سنة 1970، الى الفيلسوف المغربي د.طه عبد الرحمن (طه عبد الرحمن، 28، ونعمان بوقرة،161،2009، وخليفة بوجادي،149،2009) وكانت أول نشأة التداولية –حديثا- في مناهج الفلسفة التحليلية، لاهتمامها بالجانب الاجتماعي، على يد أوستن وسيرل وقبلهما هاريس، ممن اهتم بقضايا اللغة في الفلسفة التحليلية الاجتماعية، ولا بد لنا من فهم المقصود بالتداولية، من وجهة نظر اللسانيات اللغوية. فهي دراسة التخصص الذي يندرج بضمن اللسانيات، ويكون اهتمامها باستعمال اللغة في التواصل (بلانشيه،19،2007،) أو دراسة اللغة بعدّها ظاهرة تواصلية اجتماعية حجاجية (خليفة بوجادي،69،2009) وكما يقول تشارلز موريس هي دراسة علاقة العلامات

بمفسريها (نعمان بوقرة،162،2009) (فالتداولية ليست علما لغويا محضا، بالمعنى التقليدي، علما يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية ويتوقف عند حدودها، وأشكالها الظاهرة، ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ويدمج – من ثم – مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة "التواصل اللغوي وتفسيره" وعليه فأن الحديث عن التداولية وعن شبكتها المفاهيمية يقتضي الإشارة الى العلاقات القائمة بينها وبين الحقول المختلفة...فنحن نرى أن التداولية تمثل حلقة وصل هامة بين حقول معرفية عديدة منها الفلسفة التحليلية ممثلة في فلسفة اللغة العادية، ومنها علم النفس المعرفي ممثلا في نظرية الملاءمة على الخصوص ومنها علوم التواصل، ومنها اللسانيات بطبيعة الحال) (مسعود صحراوي،2005، 16) فليست التداولية درسا من دروس اللغة، التي تسعى الى دراسة اللغة في إطارها المعياري القواعدي، وليست منهجا وصفيا لدراسة اللغة زمنيا أو مكانيا، فكما يقول فرانسيس جاك إن التداولية تتطرق الى اللغة الخطابية والتواصلية والاجتماعية (نعمان بوقرة،162،2009) و (التداولية أو الجانب العملي للغة، وليس الجانب القواعدي الشكلي، يتناول دراسة علاقة العلامات بمفسريها، فالتداولية تولي منتجي اللغة ومتلقيها اهتماما كبيرا، فضلا عن اللغة نفسها، فهي تدرس الجانب اللغوي النظامي أي نحو اللغة، ودلالة هذا النحو والتركيب، ولا تستغني عن هذين الجانبين، غير أنها تهتم بدراسة علاقة العلامات بمستعمليها، وهذا هو الجانب الاوسع فيها) (القريشي، 2018، 50) وإذا أنعمنا النظر في القول آنفا، لوجدنا أن منتج الخطاب والمتلقي، والعلامات اللغوية نفسها، وعلاقتها بمنتجها ومفسرها، هي مكونات الاتصال والتواصل، فضلا عن جوانب مهمة أخرى تعد من أركان التواصل، لأن (التواصل اللغوي يقصد به نقل المعاني بين المرسل والمستقبل باستعمال اللغة، فعندما يتصل الإنسان بغيره اتصالا لغويا بغية التعبير عن الذات ونقل المشاعر والأحاسيس فهو إما أن يكون متحدثا، وإما أن يكون مستمعا، وإما أن يكون كاتبا، وإما أن يكون قارئا ، وفي كل الحالات يمر الإنسان بعمليات عقلية مضمونها ومادتها اللغة. وعملية التواصل اللغوي تتم عادة عن طريق التفاعل المتبادل بين طرفين (مرسِل) و (مستقبل) وبينهما رسالة لغوية (مكتوبة) أو (منطوقة) تسير في قناة تواصل لتؤدي إلى إشباع حاجات التواصل اللغوي، كالتعبير، أو الإفهام، أو الإقناع، أو التأثير ، باستخدام قدر من الكفاءة اللغوية لدى كل من المتحدث أو المستمع، أو الكاتب، أو القارئ عن طريق استخدام مهارة لغوية أو أكثر، وفي إطار مجال من مجالات التواصل اللغوي "المكتوب" أو "المنطوق"...) (البشري محمد،2007، 36) على أن التواصل ليس لغويا في كل حالاته –كما يقول بويسنيس-، بل قد يكون لغويا أو غير لغوي (بويسنس،2017، 12) وعلينا فهم المنطلق الفكري لإيريك بويسنس مؤلف كتاب (السيميولوجيا والتواصل) الذي يعدّ كل فعل تواصلي فعلا سيميائيا (بويسنس،2017، 14) ويتخلى بويسنس عن مصطلح لغة في وصف أشكال التواصل اللغوية وغير اللغوية، فيتبنى لفظ سيميائية للإشارة الى اللغات والإشارات غير اللغوية (بويسنس،2017، 14) فـ (اللسانيات التداولية اتجاه جديد في دراسة اللغة، يشارك في تنمية البحث فيه دارسون تجاوزوا بعض المفاهيم اللغوية، التي سادت في الفترة الواقعة بين دروس سوسير وكتابات جومسكي، ذلك أنهم انكبوا على دراسة الأشكال الدلالية، لا

الدالة، مكرسين المبدأ الوظيفي في اللغة، من حيث هي انجاز فعلي في السياقات التواصلية المختلفة) (نعمان بوقرة،2009، 163) وتعنى التداولية بالشروط اللازمة لتكون الملفوظات الخطابية مقبولة وناجحة وملائمة في الموقف التواصلي، وتمييز أفضل أنواع الاتصال(نعمان بوقرة،2009، 163) إن اهتمام التداولية بالمعنى ليس بمفهومه الدلالي، بل في السياق التواصلي، مما يسوغ معه تسمية المعنى بمعنى المتكلم (الشهري محمد،2004، 21) فالتداولية لا تفصل النص اللغوي عن علاقاته الخارجية وسياقاته المستعملة حقيقة، ولا تدرس اللغة الميتة المعزولة، بوصفها نظاما من القواعد المجردة، فهي تعنى بايجاد القرائن الكلية للاستعمال اللغوي، وقضايا التلاؤم بين التعبير والسياق، وتدرس الاتصال اللغوي في ظروفه الاجتماعية، وتدرس التركيب اللغوي في حدود التواصل وليس بمعزل عنه؛ لأن اللغة لا تؤدي وظائفها إلا فيه. (الشهري محمد،2004، 23، ومحمد العبد،2014، 279) ويسمي د.طه عبد الرحمن عناصر دراسة التداولية بـ (المجال التداولي)، ويقصد بها معتقدات المتكلم، ومقاصده وشخصيته، وتكوينه الثقافي، ومن يشارك في الحدث اللغوي، والوقائع الخارجية، والظروف المكانية والزمانية، والظواهر الاجتماعية المرتبطة باللغة، فضلا عن المعرفة المشتركة بين المتخاطبين، وأثر النص الكلامي فيها. (طه عبد الرحمن،،1980، 301-302) وكل هذه الجوانب الغاية من دراستها وتحليلها بيان تواصلية الخطاب/النص. ومن هنا فالصلة وثيقة بين التواصلية والدراسات التداولية، بل إن غاية التداولية -بعد دراسة كل الأشكال اللغوية وغير اللغوية التي مرّ ذكرها آنفا- فهم الملفوظ الخطابي، فهما صحيحا مرتبطا بكل العناصر التي أسهمت في انتاجه، ومن هنا ينبغي لنا التركيز على كل المفاهيم التداولية –غربية وعربية-؛ لانها تقودنا الى دراسة الاتصال والتواصلية، في الموقف الادائي الاجتماعي، بكل ما يتوسل به الموقف من إقناع وحجاج، وطريقة إلقاء وظروف مقالية ومقامية،واليات تماسك النص، فيما يعرف بنسج النص أو الخطاب، وغير ذلك من عناصر وآليات تسهم في فهم قصدية الخطاب، والرسالة المتوخاة منه.

وظائف اللغة عند العرب:

1- (الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية بتعبير ياكبسون وتسمى الوجدانية) (التبليغية) : وترتبط بالمرسل

إن الوظيفة التعبيرية، هي التي ترتبط بالمتكلم، وتعبر عن ذاته، أفكاره ومشاعره وأغراضه. والكلام العربي، شعرا ونثرا، يتضمن أساليب متعددة لهذا التعبير، من جملٍ فعلية أو اسمية، أو تقديم أو تأخير، أو ذكر وتفصيل وإطناب، أو حذف وإيجاز واقتضاب، من استفهام ونفي وقصر، وشرط وتوكيد وحصر، و.... وما نعرفه من أساليب كلامية استعملها العرب ونستعملها نحن الى اليوم نعبّر بها عمّا يختلج في دواخلنا. وهذا ما نلمسه عند الجاحظ في مؤلفاته ورسائله، ما يعكس إمكاناته اللغوية التعبيرية، وإثارة الإنفعالات النفسية الكامنة، وإظهارها للمتلقي، لتحقيق التواصل واستظهار التأثير المطلوب فيه، وترتبط الأساليب التي ذكرتها آنفا بالتعبيرات الشخصية ارتباطا واضحا. (محمود كاظم موات،253-254) وقد انحصرت وظيفة اللغة، عند كثير من علماء العربية، في (الوظيفة التعبيرية التبليغية)، قال ابن سنان وهو يرد على أبي إسحق الصابي (فزعم أن الحسَنَ من

الشعر، ما أعطاك معناه، بعد مطاولة ومماطلة، والحسَنَ من النثر، ما سبق معناه لفظه، ففرق بين النظم والنثر، في هذا الحكم، ولا فرق بينهما، ولا شبهةَ تعترض المتأمل في ذلك. والدليل على صحة ما ذهبنا إليه، أنَّا قد بينا، أن الكلام غير مقصود في نفسه، وإنما احتيج إليه ليعبر الناس عن أغراضهم، ويفهموا المعاني التي في نفوسهم) (ابن سنان،1952، 259) فالكلام هنا عن وظيفة اللغة والتفاهم بين أطراف العملية التواصلية، وهذه الوظيفة تعبيرية تبليغية، كما أشار اليها ابن جني من قبل، في تعريفه المشهور للغة أنها (اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم).

2- (الوظيفة الإفهامية بتعبير ياكبسون) وسُميت (الندائية أو الانتباهية أو التأثيرية): ترتبط بالمرسل اليه

ترتبط هذا الوظيفة بالمرسل اليه، طرف العملية التواصلية الآخر، مفردا كان أو جماعة. وهي الوظيفة التي يريد المرسل إفهامها الى المرسل إليه. ولا ترتبط هذه الوظيفة بأسلوب النداء فقط، كما يتوهم من أحد عنواناتها، بل القصد بـ (الندائية) أن يكون كلامك تستقطب به انتباه المتلقي، فتلفت انتباهه إليك، بالأساليب الإنشائية المعروفة في كلام العرب، من نداء واستفهام وأمر ونهي ونفي وغيرها. هذه المسميات وجدتُ المشتغلين بالتواصل يجمعونها تحت هذا المسمى، ولكن لفت انتباهي أن الوظيفة الإفهامية تختلف عن الوظيفة التنبيهية أو الندائية. فالوظيفة الإفهامية أنك تستعمل اللغة المشتركة، وتستحضر الألفاظ الممكنة، والأساليب المتاحة لإفهام المخاطَب ما قصدتَ اليه في الرسالة التواصلية، كاستعمال عبارات: أقصد، وأعني، وأشرح لك، وأبين لك، وأي، فضلا عن الأساليب البلاغية، من تشبيه، وتمثيل وتفصيل، بعد الإجمال، أو تخصيص بعد العموم، أو حصر وقصر، أو أساليب العربية من تقديم وتأخير، وغير ذلك من تقنيات اللغة واستراتيجيات الخطاب. ومنها قول المبرد ت284هـ (وإنَّما كَانَ الْفَاعِل رفعا لأَنَّه هُوَ وَالْفِعْل جملةٌ يحسن عَلَيْهَا السُّكُوت وَتجب بهَا الفائدةُ للمخاطب) (المبرد،1994، 8/1) فتحققت وظيفة الإفهامية عند المبرد، بتحقق الفائدة من الكلام؛ لأن المبرد يرى أن (كل ما صلح به المعنى فهو جيد، وكل ما فسد به المعنى فمردود) ((المبرد،1994، 311/4) في حين أشار ابن سنان الخفاجي ت466هـ الى الوظيفة الإفهامية (سليم حمدان،2009، 5) في قوله (يكفى من حظ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء افهام الناطق، ولا الناطق من سوء فهم السامع) (ابن سنان،1952، 63).

والوظيفة التنبيهية أو الندائية هي التي تسبق الرسالة التواصلية، وتلفت انتباه المتلقي الى المتكلم، وتستقطب انتباهه. قال سيبويه في وظيفة التنبيه في النداء (ولا يكون هذا في غير النداء، لأنهم جعلوها تنبيهاً فيها بمنزلة يا. وأكدوا التنبيه بـ ها حين جعلوا يا مع ها) (سيبويه،1983، 212/2) ويوضح الرازي ت606هـ جريان العملية التواصلية، في بيان حروف التنبيه في الكلام يقول (إن تقديم الحروف، إذا كان، لإقبال السامع على المتكلم، لسماع ما بعد ذلك..) (الرازي،1938، مج9ج25ص24) وعن التنبيه بأساليب الكلام، قال عبد القاهر الجرجاني في التنبيه بتقديم الاسم المعرفة (أنك قلت: عبد الله، فنبهته له، ثم بنيت عليه الفعل وجدته يطابق هذا. وذاك أن التنبيه لا يكون إلا على معلوم، كما أن

قصر الفعل لا يكون إلا على معلوم. فإذا بدأت بالنكرة فقلت: رجل، وأنت لا تقصد بها الجنس، وأن تعلم السامع أن الذي أردت بالحديث رجل لا امرأة كان محالاً أن تقول: إني قدمته لأنبه المخاطب له، لأنه يخرج بك، إلى أن تقول: إني أردت أن أنبه السامع لشيء لا يعلمه في جملة ولا تفصيل. وذلك ما لا يشك في استحالته، فاعرفه) (الجرجاني عبد القاهر،1994، 106)

3- (الوظيفة الشعرية بتعبير ياكبسون) (الجمالية والإبداعية والبلاغية): ترتبط بالرسالة.

لا ترتبط الوظيفة الشعرية بالشعر فقط، كما يتضح ذلك عند ياكبسون (ياكبسون،1988، 32) بل بالرسالة، وتكون للجمال ولابداع والخيال والمهارة والبلاغة ومجازها، شعرا ونثرا. لذلك نجد أهل البلاغة والأدب يكثرون من إيراد هذه الألفاظ، عن غيرهم من العلماء. قال أبو هلال العسكري ت395هـ في باب الاستعارة والمجاز (الاستعارة: نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه، وهذه الأوصاف موجودة في الاستعارة المصيبة، ولولا أن الاستعارة المصيبة تتضّمن ما لا تتضمنه الحقيقة، من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى منها استعمالا) (أبو هلال العسكري، 257) فالغرض الوظيفي من الاستعارة والمجاز انما هو وظيفة بلاغية خيالية شعرية، فيها مزيد تأثير وتثبيت للرسالة. وللبديع أثر في النص التواصلي لدى المتلقي، وبرغم ذلك أن البلاغيين لا يربطون الجانب الدلالي للمحسنات البلاغية بوظائفه الجمالية كثيرا. (مسعود بو دوخة،2011، 125-126) فعلم البديع –وهو من فنون البلاغة- لا يبقى محصورا بالجوانب الجمالية بعيدا عن الوظيفة اللسانية (بل يتعدى البديع إلى وظيفة لسانية متغيرة تتطور بتغير حال المؤلف، تسوغها العلاقة المؤكدة بين الشكل الأدبي) (خالد كاظم،2011، 31) إن موضوعات البديع المتعددة ذات أثر كبير في فهم الرسالة التواصلية، والتناسب بين فقراتها فـ (هي تحقق هذا التناسب بوصفه مقياساً جمالياً له أهمية في التأثير الإيجابي في المتلقي وكسب تفاعله، وإعجابه، ولهذا ارتبطت تلك المحسنات البديعية عند أكثر البلاغيين بما أسموه المناسبة والملاءمة والترابط والتلاحم وغير ذلك) (مسعود بو دوخة،2011، 188-189 و خالد كاظم،2011، 34) وفي بيان الإبداع في قوله تعالى ((وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي)) هود/44 قال ابن أبي الأصبغ 486هـ، وهو كلام طويل (... وما في مجموع الآية من الإبداع، وهو الذي سمي به هذا الباب، فهذه سبع عشرة لفظةً تضمنت أحداً وعشرين ضرباً من البديع غير ما تكرر من أنواعه فيها.) (النويري، 177/7) فهذا الإبداع المتوخى في هذه الآية الشريفة إنما وظيفته تأثيرية في السامع أو المتلقي. ويدخل الإبداع البلاغي مؤثرا مهما في الرسالة التواصلية، إذ إن لفنون البلاغة المتعددة من استعارة ومجاز ومقابلة وتشبيه، وتلوين أساليب الكلام في سياق تواصلي، ويعضد أسلوبٌ أسلوبا آخر، تأثيرًا في النفوس (فإن للنفوس في تقارن المتماثلات وتشافعها والمتشابهات والمتضادات وما جرى مجراها تحريكا وإيلاعا بالانفعال إلى مقتضى الكلام) (القرطاجني حازم، 44-45) وفي الشعر قال ياقوت الحموي ت623هـ (وما شيء

أبلغ في الشعر من الإبداع فيه) (الحموي ياقوت،149/7) فهذه أبلغ وظائف الشعر، وظيفة الإبداع، أي فيه من عناصر الفن والمهارة والبديع، وهي وظيفة تأثيرية في المتلقي.

4- الوظيفة المرجعية (بتعبير ياكبسون) : ترتبط بالسياق

هي أن يكون للنص مرجعية سياقية مهمة تربطه ببيئة الحدث التواصلي. فلا يمكن بحال أن نتخيل نصا أو رسالة تواصلية، غير مرتبط بمرجعية سياقية. إذ لا يمكن فصل النص اللغوي عن محيطه السياقي بحال ابدا ولا يمكن ان نتصور تواصلا لسانيا من دون سياق، وهذا كان حاضرا في أذهان علماء العربية، لغويين ومفسرين وبلاغيين وفقهاء وأصوليين (عبد الكاظم الحسيني،2017، 65)؛ لأن بنية النص اللغوي (ضرب من النشاط الإنساني الذي يتفاعل مع محيطه وظروفه، والذي قد تتغير صوره بتغيير هذا المحيط وتلك الظروف، كما فطنوا الى ان الكلام له وظيفة ومعنى في عملية التواصل الاجتماعي) (كمال بشر،1997، 74) ولقد كانت اهتمامات اللغويين العرب وغيرهم واضحة بأهمية السياق في فهم المعنى من النص التواصلي. وقد عرف اللغويون العرب مسألة السياق منذ زمن الخليل (175هـ) في كتاب العين مرورا بسيبوية (180هـ)، واستعملوا مصطلحات للدلالة على السياق هي: النظم، والتركيب والنسق والمقال والتعليق(عواطف كنوش،1991، 97-98 والقريشي،2014، 9) وقد قامت كتب الوجوه والنظائر المبكرة على أثر السياق في معنى اللفظ، وإبلاغ المفهوم القرآني الى المتلقي بناء على الشفرة المتبعة في التواصل وعلى السياق، فأن وظيفة اللغة تقوم على توكيد أهمية الموقف الكلامي (التواصلي) السياقي، مقالا ومقاما، فضلا عن عوامل فاعلة في هذا الموقف يمثلها الباث والمستقبل. (هادي نهر،1994، 68) وكان لسيبويه دراسات تحليلية لأثر سياق المقال وسياق المقام في بيان المعنى في سياق التواصل. (ياسمين ماجد،2013، 35)كنصب القائل (مكةَ وربِ الكعبة) (سيبويه،1983، 295/1) بحذف الفعل الناصب (يريد)، اكتفاء بمقام المشاهدة، لمن شاهد حاجا في هيأة إحرام، وفي زمن حج وفي طريقه الى مكة، فهذا سياق المقام (إدريس مقبول،2007، 318) إن المعنى كما جاء في صحيفة بشر بن المعتمر ت210هـ لا ينظر إليه خارج إطار الحدث التواصلي المجرد عن السياق، فـ (المعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصّة، وكذلك ليس يتضّع بأن يكون من معاني العامّة، وإنّما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال (الجاحظ، 136/1) فبالسياق تكتسب الرسالة التواصلية غايتها، وتبلغ مبلغها، وتترك أثرها في المتلقي، الذي يربط بين معطيات الرسالة، اللغوية والاجتماعية والتداولية وصولا الى غاية المتكلم. وقد ذكر عبد القاهر الجرجاني ت471هـ أهمية السياق للمعنى، في الإعجاز القرآني (الجرجاني عبد القاهر،1994، 44و47) في بيان أن المعنى لا ينهض بتمام الغاية مجردا من السياق ومكانته في النظم. وقال (إن الألفاظَ المفردةَ التي هي أوضاعُ اللغة لم توضَع لتعرفَ معانيها في أنفسها ولكن لأن يُضَمَّ بعضُها إلى بعض فيعرف فيما بينها فوائد وهذا علمٌ شريف وأصلٌ عظيم) (الجرجاني عبد القاهر،1994، 345) وقال ابن الأثير في أهمية القرينة السياقية في فهم كلمات المشترك اللفظي (كالعين فإنها تطلق على العين الناظرة، وعلى ينبوع الماء، وعلى المطر وغيره، إلا أن المشتركة تفتقر في الاستعمال إلى قرينة تخصصها؛ كي لا تكون مبهمة؛ لأنا إذا قلنا عين ثم سكتنا

وقع ذلك على محتملات كثيرة، من العين الناظرة والعين النابعة والمطر وغيره، مما هو موضوع بإزاء هذا الاسم، وإذا قرنّا إليه قرينة تخصه زال ذلك الإبهام). (ابن الأثير،1995، 38/1) إن السياق في الحدث التواصلي يثبّت المعنى، ويزيل الغموض واللبس عن دلالة النص التواصلي، ويوقع التأثير في المتلقي ويسبب التفاعل، وهو (الشقّ الأكبر الذي تبني عليه النظرية الدلالية وسائلها الأساسية في الفهم والإفهام ويتعدّاها إلى الأوضاع المختلفة من التأثير والتأثر والانفعال والإيحاء) (عواطف كنوش،1991، 97) والسياق هو(الظروف المتعلِّقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة أو بتعبير آخر دراسة الكلام في المحيط الذي يقع فيه، ويشمل السّياقُ الخارجي الظّروف المحيطة بالحدث الكلامي وهي العصر ونوع القول وجنسه، واللّغة أو اللّهجة المستعملة، والمُتَكَلِّم أو الكاتب، والمستمع أو القارئ، والعلاقة بين المرسل والمتلقي من حيث الثقافة والجنس والعمر والألفة والطبقة الاجتماعية). (عواطف كنوش،1991، 76) ويعد الإعراب واحدا من القرائن السياقية الكبيرة التي توضح المعنى، الى جوار القرائن الأخرى في النص. (عواطف كنوش،1991، 97 و ردة الله الطلحي،2006، 450).

5- الوظيفة الميتالسانية (الواصفة بتعبير ياكبسون): ترتبط بالسنن أو الشفرة

يُقصد بالوظيفة الميتالسانية أي ما بعد اللغة. وهي وظيفة شرح السنن المشترك بين المتخاطبين. إذا افترضنا أن السنن (اللغة المشتركة) بين المتخاطبين هي الألفاظ المنطوقة، فاذا كانت اللغة تتحدث عن الأشياء والموضوعات، فالميتالسانية تتحدث عن اللغة نفسها وتصفها، قال ياكبسون (لقد تمَّ التمييز في علم المنطق الحديث بين مستويين من اللّغة: اللّغة الموضوع، التي تتحدَّث عن الأشياء، وما فوق اللّغة الّذي يصف اللّغة ذاتها، و تظهر وظيفة تعدّي اللُّغة في الرّسائل الَّتي تتمحور حول اللُّغة نفسها، فتتناول بالوصف اللُّغة ذاتها، وتشمل تسمية عناصر منظومة اللُّغة وتعريف المفردات) (ياكبسون،1988، 31) ويسميها د.جميل حمداوي الميتالغوية، ولا فرق بين التسميتين إلا في الترجمة، وهي التي تقوم على شرح اللغة ووصفها وتفسيرها وتأويلها، وهدفها تفكيك الشفرة اللغوية، التي أقامها المرسِل، ويستعين المتلقي بالمعجم وأسس اللغة والنحو المشتركة بين المتخاطبين. (جميل حمداوي،2018، 20 وجميل حمداوي، 2014، على الأنترنت) وهي التي ميزها كارناب وسماها السيمانطيقا الوصفية، التي تبحث في اللغات التي اتفق المتخاطبون عليها، وتكون أداة للتواصل. (رشيدة غانم،2012، 23) ويبدو لي أن هذه الوظيفة الواصفة ليست كباقي الوظائف التي تظهر في الحدث التواصلي، وتكون مقصودة تواصليا؛ لأن هذه الوظيفة تقوم على وصف اللغة الناقلة للرسالة، أي أن الوصف كامن في داخل المتخاطبين، يتوخى سلامة البناء اللغوي الناقل للرسالة، وكأنه البنية العميقة للاستعمال اللغوي. لذلك فهي لا تظهر صراحة في الحدث التواصلي، ولكن لا غنى عنها في العملية التواصلية. وعلى هذا المفهوم فأن العرب فهموا هذه الوظيفة، وقيمتها في التبليغ وإقامة المعنى، وكان المنهج الوصفي واحدا من أهم المناهج اللغوية العربية الذي يقوم على وصف بنية اللغة في زمن محدد، ليجتزئوا منه لاحقا وصف اللغة، الذي نحن بصدده هنا، وهو وصف اللغة الناقلة للرسالة الإبلاغية أو (السنن، الشفرة). وهذا الوصف عملية ذهنية لدى المتخاطبين، وليست ظاهرة في الحوار التواصلي. وقد تظهر الوظيفة الواصفة، حين

يشعر المتلقي أن غموضا في التركيب الذي سمعه، فيبادر الى المتكلم بعبارات ماذا قصدت، وماذا أردت، ولماذا فعلت في كلامك كذا وكذا...(الطاهر بومزبر،2007، 37) قال ياكبسون (فنحن نمارس اللغة الواصفة دون أن ننتبه الى الخاصية الميتالسانية لعملياتنا... وفي كل مرة يرى فيها المرسل و/أو المرسل اليه ضرورة التأكيد ما إذا كانا يستعملان جيدا نفس السنن، فأن الخطاب يكون مركزا على السنن، أنه يشغل وظيفة ميتالسانية "أو وظيفة شرح" يتساءل المستمع: إنني لا أفهمك- ما الذي تريد قوله؟ .. ما تقول؟) (ياكبسون،1988، 31) إن ألفاظ اللغة مثلا، تمثل خزينا في أذهان مستعملي اللغة، وهذ الألفاظ جزء من نظام لغوي صامت؛ لأنها غير مستعملة، فإذا استعملت وفقا للأنظمة اللغوية المعروفة صارت نشاطا سلوكيا فرديا أي صارت كلاما. (تمام حسان،1973، 40) فالمتكلم صاحب الرسالة التواصلية، سوف يستثمر الوصف اللغوي الكامن في مفاهيمه الإدراكية للغة، لينشئ رسالة تواصلية، ويوظف المتلقي الوصف اللغوي الكامن في مفاهيمه الإدراكية، المشترك بينه وبين المتكلم، لفك شفرة هذه الرسالة، وبذلك تتحقق لنا الوظيفة الميتالسانية التواصلية. فأنظمة اللغة، من صوت وصرف ونحو، وقائمة المفردات (المعجم) (تكون معينا صامتا، فإذا أردنا أن نتكلم أو أن نكتب نظرنا في هذا المعين الصامت، فوضعنا محتوياته في حالة عمل وحركة، فأخذنا منه الكلمات ورصفناها على شروط الأنظمة.. خرجنا من دائرة الصمت اللغوي الى دائرة النطق الكلامي.. وحاصل جمع المعنى الوظيفي التحليلي والمعنى المعجمي الذي للكلمات، لا يساوي أكثر من معنى المقال، أو المعنى اللفظي للسياق أو معنى ظاهر النص.. ولا يزال السياق حتى بعد الوصول الى الى هذا المعنى اللفظي بحاجة الى معنى المقام، أي المعنى الاجتماعي الذي يضم القرائن الحالية، الى ما في السياق من قرائن مقالية، وبهذا يتم الوصول الى المعنى الدلالي)(تمام حسان،1973، 40-41) فهذه العملية التواصلية تجري تحت رقابة العمليات الواصفة للغة لدى المتخاطبين –بطبيعة نشأتهم وإتقانهم نظامهم اللغوي بالاكتساب، لا بالتحليل العلمي- ؛ لتصل بها الى النتيجة النهائية، وهي إبلاغ الرسالة التواصلية. ويرى بلومفيلد أن الوصف اللغوي المعول عليه عنده، هو الوصف القائم على ملاحظة الملفوظ الكلامي غير المدروس، وغير المعد سابقاً، من المتكلمين. (إبراهيم خليل،2014، 120) أي وصف المنطوق الكلامي في الحدث التواصلي، لا الوصف القائم على الدرس الأكاديمي المعياري، المهيأ سلفا. إن اعتماد الوصف في المنطوق الكلامي يسهل عملية التواصل الفكري، وأن الاتجاهات الحديثة في المنهج الوصفي تهتم بجانب المعنى اهتماما كبيرا. (نوزاد حسن،1996، 19و28)

ومن ممارسة العرب هذه الوظيفة في تواصلهم، أن سيبويه أقام كتابه على أسس وصفية، عالج فيها ظواهر لغوية شتى، في المخزون اللغوي، أو في الكلام اليومي، في الفصحى وفي لهجاتها. (نوزاد حسن،1996، 35و37) من ذلك قوله (ويونس يقول:هذا مثلُك مقبلاً، وهذا زيد مثلُك، إذا قدمه جعله معرفة، وإذا أخره جعله نكرة. ومن العرب من يوافقه على ذلك) (سيبويه،1983، 423/2) فقدم سيبويه وصفا للمقولة اللغوية المسموعة، وصف به مقبوليتها وسلامتها في إيصال الرسالة. إن اهتمام سيبويه بهذا المسموع (يدخل ضمن الأسس العامة التي وضعها لتطبيق منهجه الوصفي... إيمانا بأن

اللغة حقيقة اجتماعية، وهذا ما يذهب اليه المنهج الوصفي الحديث) (نوزاد حسن،1996، 41) ومن هذه الممارسات الوصفية لفهم التواصل(سئل الكسائيّ أيضا في مجلس يونس عن قولهم : لأضربنّ أيُّهم يقوم. لمَ لا يقال: لأضربن أيَّهم . فقال : أيُّ هكذا خُلِقَتْ) (ابن جنين1990، 295/3) فوصفُ الكسائي هنا وصفٌ لما جرى عليه لسان العرب في استعمال اللغة. ومن ذلك أيضا الجزء الثاني من كتاب (الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها) فكل ما قدمه ابن فارس ت395هـ في هذا الكتاب كان وصفا للغة التي سار عليها العرب في تواصلهم. (ابن فارس، 321و333و337...).

وفي تفسير قوله تعالى ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)) الشورى/11 قال ابن عطية ت541هـ (الكاف مؤكدة للتشبيه ، فبقي التشبيه أوكد ما يكون، وذلك أنك تقول: زيد كعمرو، وزيد مثل عمرو، فأذا أردت المبالغة التامة قلت: زيد كمثل عمرو... فجَرَت الآية في هذا الموضع على عرف كلام العرب) (ابن عطية،2007، 28/5) فقدم وصفا يجعل للنص قبولا في إبلاغ المعنى، ذلك أنه موافق لكلام العرب. وفي تفسير قوله تعالى ((أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ)) البقرة/16 قال ابن عاشور (هذا استعمال كثير الورود في الكلام البليغ. وليس في هذه الإشارة إشعار ببعد أو قرب؛ حتى تفيد تحقيراً ناشئاً عن البعد؛ لأن هذا من أسماء الإشارة الغالبة في كلام العرب، فلا عدول فيها حتى يكون العدول لمقصد) (ابن عاشور،1997، 293/1) فهذه وظيفة واصفة ميتالسانية، تجعل من النص مفهوم القصد، وذلك بربط النص بكلام العرب؛ ليكتسب قبولا.

وقال الجواليقي ت540هـ في شرح أدب الكاتب (وقولهم " فلان نسيجُ وحدِه " أي هو واحد في معناه ليس له فيه ثان، كأنه ثوب نسج على حدته لم ينسج معه غيره. ووحدَه منصوب في جميع كلام العرب، إلا في ثلاثة مواضع نسيج وحدِه، وعيير وحدِه، وجحيش وحدِه، وهما ذم يراد بهما رجلُ نفسِهِ، لا ينتفع به غيره وهي نكرات، وهو في غير هذا منصوب) (الجواليقي،1350ه، 62/1) ومن الوصف اللغوي، الذي يسهم في فهم الرسالة التواصلية قال ابن الأثير (حذف المضاف والمضاف إليهِ وإقامة كل واحد منهما مقام الآخرِ وذلك باب عريض طويل شائع في كلام العربِ... فأما حذف المضاف فكقوله تعالى (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون) فحذف المضاف إلى يأجوج ومأجوج وهو سدهما كما حذف المضاف إلى القرية في قوله تعالى (واسئل القرية) أي أهل القرية. ومن ذلك أيضاً قوله عز و جل (ولكن البر من اتقى) أي خصلة من اتقى، وإن شئت كان تقديره: ولكن ذا البر من اتقى، والأُولى أَولى؛ لأن حذف المضاف ضرب من الاتساع، والخبر أولى بذلك من المبتدأ؛ لأن الاتساع بحذف الإعجاز أولى منه بحذف الصدور. وقد حذف المضاف مكرراً في قوله تعالى (فقبضت قبضة من أثر الرسول) أي من أثر حافر فرس الرسول. وهذا الضرب أكثر اتساعاً من غيره) (ابن الأثير،1995، 93/2) في كل ما تقدم كان الوصف وظيفة تواصلية، بيَّنت جريان الرسالة على سنن العرب، فأدت الإبلاغية المراد منها. وهذا يؤكد أن العرب عرفوا هذه الوظيفة، في العملية التواصلية.

6- (وظيفة إقامة التواصل أو الحفاظ عليه بتعبير ياكبسون): ترتبط بقناة الاتصال

قناة الاتصال هي عنصر من عناصر التواصل الستة، التي ذكرها ياكبسون، ويراد بها الطريقة التي تنتقل بها الرسالة التواصلية الى متلقيها، نقلا يؤدي الى الترابط النفسي بين المتخاطبين، لإتمام العملية التواصلية (ياكبسون، 1988، 27) بالمشافهة أو الكتابة أو الإشارة أو لغة الجسد أو الصفير أو الصمت المعبّر. ومن بدهيات القول إن وظيفة قناة التواصل هي إقامة الاتصال مع المرسل اليه؛ لأن المرسِل ما بدأ التواصل مع الآخر إلا لأجل إبلاغه ما يريد من رسالة، قصرت هذه الرسالة أو طالت. وقد يتخلل الحوار التواصلي المقام بين المتخاطبين عبارات تساعد على انتباه المخاطَب وشدّه الى المتكلم فتكون هناك الوظيفة الانتباهية. وقد عرف العرب وظيفة إقامة الاتصال، في أساليبهم.

إن الحديث عن إقامة الاتصال نجده عند سيبويه 180هـ، فالخطاب عنده (حدث لغوي يرسله متكلم أو مرسل نحو مخاطب، أو مرسل اليه، قصد إفادته بمعلومات أوأخبار جديدة) (بشير برير،2012، 12) فهذه فائدة الخطاب بين المتخاطبين، أي إقامة الاتصال. و (أنَّ التَّواصل بأشكاله وأنواعه موجود في فكر سيبويه؛ لأنَّ الشّواهد والأمثلة التّي ساقها سيبويه في أغلبها ذات طبيعة حواريَّة تخاطبيَّة أو إخباريَّة) (علي جواد،2018، 29) فالطبيعة الحوارية التخاطبية الإخبارية هي نفسها الوظيفة الحفاظية المقصودة من قناة الاتصال. قال سيبويه في قصد إقامة التواصل (واعلم أن رويداً تلحقها الكاف وهي في موضع افعل، وذلك كقولك: رويدك زيداً، ورويدكم زيداً. وهذه الكاف التي لحقت رويداً إنما لحقت لتبين المخاطَب المخصوص، لأن "رويد" تقع للواحد والجميع، والذكر والأنثى، فإنما أدخل الكاف حين خاف التباس من يعني بمن لا يعنى، وإنما حذفها في الأول استغناء بعلم المخاطب أنه لا يعني غيره، فلحاق الكاف كقولك: يا فلان، للرجل حتى يقبل عليك. وتركها كقولك للرجل: أنت تفعل، إذا كان مقبلاً عليك بوجهه منصتاً لك. فتركت يا فلان حين قلت: أنت تفعل؛ استغناء بإقباله عليك. وقد تقول أيضاً: رويدك، لمن لا يخاف أن يلتبس بسواه، توكيداً، كما تقول للمقبل عليك المنصت لك: أنت تفعل ذاك يا فلان، توكيداً.) (سيبويه،1983، 44/1) فهذه أساليب العرب في إقامة الاتصال مع المخاطب، والمحافظة على هذا الاتصال لحين إبلاغ الرسالة التواصلية؛ لأن إلحاق الكاف بكلمة رويد للمخاطب المخصوص القصد منها إثارة انتباهه الى المتكلم؛ لإقامة الاتصال.

وقال الشيخ عبد القاهر 471هـ وهو يتحدث عن كيفية استعمال "الذي" (أنك لا تصل "الذي" إلا بجملة من الكلام قد سبق من السامع علم بها، وأمر قد عرفه له، نحو أن ترى عنده رجلاً ينشده شعراً فتقول له من غدٍ: ما فعل الرجل الذي كان عندك بالأمس ينشدك الشعر؟ هذا حكم الجملة بعد الذي إذا أنت وصفت به شيئاً) (دلائل الإعجاز،1994، 140) فالسؤال الذي أثاره المتكلم مع المتلقي يراد منه إقامة الاتصال معه، وقد أثار انتباهه الى المتكلم، أنه أراد أن يحدثه عما جرى مع الرجل الذي أنشد عنده شعرا أمس؛ لأن جملة صلة الموصول –كما يقول عبد القاهر- يجب أن تكون معلومة عند المتلقي (المخاطَب)، ولا يجوز أن تكون جملة خبرية لا علم للمخاطب بها. إذن وظيفة إقامة الاتصال مع المخاطب، والمحافظة على هذا الاتصال معروفة عند علماء العربية، ولها أساليبها عند العرب. وقد اجتزأتُ بما يدل على ذلك اكتفاء عن الإحصاء.

هذه كانت دلائل قاطعة وموثقة من التراث العربي، أن العرب كانوا يعرفون الوظائف المرجوّة من التواصل، بما يطابق النظرية التواصلية الغربية اليوم، تمام المطابقة، ولكن وفقا لفهم العرب، وأساليبهم، وعباراتهم في زمنهم. غير أن الفكر العربي التواصلي كان أوسع من الفكر التواصلي الغربي اليوم. وسأعرض الآن لما زاده العرب من وظائف، زيادة على ما عرفته النظرية التواصلية الغربية اليوم.

1- (وظيفة الإبانة):

ارتبطت وظيفة الإبانة عند العرب ارتباطا وثيقا بالإعراب؛ لأن الإعراب غايته في الكلام الإبانة. وسوف أعرض لمعرفة العرب بوظيفة الإبانة، وهم يربطونها في حديثهم عن الإعراب، الذي جعلته عنصرا إضافيا من عناصر التواصل العربية، في دراسة أخرى.

ابن الإنباري:

من تتبع أقوال العلماء العرب في الإعراب، يتبيّن لنا أن الكلام الذي يكون غاية العملية التواصلية، لا بد له من مراعاة الإعراب، أو ما يسمى باتباع قواعد النحو العربية؛ لأن بها يستقيم المعنى، وتتحقق وظيفة الإبانة والمنفعة، وتتحقق الإفادة، فلا يكون تواصل سليم بكلام غير سليم. قال ابن الأنباري ت328هـ (باب الإعراب و البناء إن قال قائل لم سُمي الإعراب إعرابا والبناء بناء قيل أما الإعراب ففيه ثلاثة أوجه، أحدها أن يكون سُمي بذلك لأنه يبين المعاني، مأخوذ من قولهم أعرب الرجل عن حجته إذا بينها ومنه قوله: الثيب يعرب عنها لسانها، أي يبين ويوضح) (ابن الأنباري،1995، 40/1) فبالإعراب تبين المعاني، وتتضح مقاصد الخطاب، ويتم التواصل. وقد سار ابن الانباري في جميع ابوابه على هذا المنوال التعليمي، الذي يبدأ إن قال قائل، ثم يواصل.. ففي ذلك دلالة أن الإعراب واحد من أهم عناصر التواصل.

الزجاجي:

وقال الزجاجي ت337هـ في (باب القول في الإعراب، لِمَ دخل في الكلام.. إن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني، فتكون فاعلة ومفعولة، ومضافة، ومضافًا إليها، ولم تكن في صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعاني ... جعلوا هذه الحركات دلائل عليها ليتسعوا في كلامهم، ويقدموا الفاعل إن أرادوا ذلك أو المفعول عند الحاجة إلى تقديمه، وتكون الحركات دالة على المعاني) (الزجاجي،1959، 67) فبالإعراب تتضح المعاني، وبالإعراب تتلون الأساليب، وبتوخيه يكون التواصل السليم.

ابن جني:

وعد ابن جني ت392هـ الإعراب الذي هو شطر من النحو، مقياسا يلحق به من هو ليس بعربي بأهل العربية في الفصاحة، ويرد به من شذّ عنهم، قال (النحو هو انتحاء سَمْت كلامِ العرب في تصرفه من اعراب وغيره...ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطقَ بها وإن لم يكن منهم وإن شذّ بعضهم عنها رُد به إليها) (ابن جني،1990، 35/1) فمن دون الإعراب لا يكون عربي، ولا يكون كلام عربي سليم، ولا يكون تواصل سليم. ومعلوم لدينا أن علماءنا الأوائل سمّوا النحو إعرابا والإعراب نحوا (كلاش حنيفة،2012، 9) قال الزجاجي ت337هـ (ويسمى النحو إعرابا،

والإعراب نحوا سماعا) (الزجاجي،1959، 91) وقال الأزهري ت370هـ (والإعراب الذي هو النحو إنما هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ، وأعربَ كلامه إذا لم يلحن في الإعراب) (الأزهري ،معجم، مادة عرب) فالإعراب من عناصر الكلام التي به يقوم وتعرف معانيه، قال السيوطي (باب ذكر ما اختصّت به العربُ: من العلوم الجليلة التي اختصتْ بها؛ الأعرابُ الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يُعْرف الخبر الذي هو أصل الكلام، ولولاه ما مُيِّزَ فاعلٌ من مفعول، ولا مضافٌ من منعوت، ولا تعجّب من استفهام، ولا صَدْر من مصدر، ولا نعتٌ من تأكيد) (السيوطي،2005، 254) وقال العكبري ت616هـ (إن واضع اللغة حكيم ومن حكمته أن يضع الكلام للتفاهم؛ ولا يتم التفاهم إلا بالإعراب فوجب أن يكون مقارنا للكلام لتحصل فائدة الوضع) (العكبري أبو البقاي،2004، 13) فالتفاهم هو نقل الأفكار بالتواصل اللساني، وهذا التواصل لا يكون من دون الإعراب، الذي يقود االى الفائدة.

فهل يكون هناك تواصل إذا انعدم الإعراب؟ أو إذا أصابه خلل؟ وأي رسالة تواصلية يمكن أن يستقبلها المتلقى العربي ويفهم القصد منها إذا كان وصف حال الرسالة على ما ذكره السيوطي؟ أفهم من هذا القول أن الإعراب كخيط ينتظم حبات الخَرَز، إذا غاب الخيط تناثر الكلام، وابتعد بعضه عن الآخر وفقد ارتباطه. وواضح من هذا القول ومن غيره أن الإعراب من خصوصيات العربية؛ لذلك لا نجده عنصرا من عناصر التواصل في النظرية التواصلية الغربية، وإذا كنا نبحث عن نظرية تواصلية عربية، صار لزاما علينا أن نبحث عن عناصرها المكونة لها عند العرب. بل إن الوظيفة التواصلية تتعطل من دون الإعراب، ابن فارس:

ورد عن ابن فارس 395هـ ونقله السيوطي ت911هـ (فأما الإعراب فَبِه تميَّزُ المعاني، ويُوقَف على أغراض المتكلمين) (ابن فارس،1910، 161 والسيوطي ،2005، 256) فلولا الإعراب ما وقفنا على أغراض المتكلمين، ولفقدنا الوظيفة التعبيرية التي ذكرها ياكبسون، وذكرها قبله ابن جني في تعريفه الشهير للغة. والدليل على ذلك أن الجاحظ ت255هـ أورد أمثلة كثيرة في سياقات تواصلية، كان الخلل الإعرابي فيها واضحا، ما أدى الى فهم الرسالة على غير وجهها من المتلقي، قال (وقد روى أصحابنا، أن رجلا من البلدتين قال لأعرابي: كيف أهلِك؟ قالها بكسر اللام، قال صلباً. لانه أجابه على فهمه، ولم يعلم انه أراد المسألة عن أهله وعياله) (الجاحظ، 1/163-164) أي أنه بكسر الكاف فهم أنه يسأله عن هلاكه. وعلى ذلك روايات كثيرة عقلناها، بيّنت أن عدم توخي الإعراب يغير فهم الرسالة التواصلية، من ذلك ما فهمه أبو الأسود الدؤلي من ابنته في قولها (ما أجملُ السماء) بالرفع وهي تريد التعجب، فأجابها على أنه سؤال، ثم بيّن لها سلامة ما تريد بفتح أجملَ وليس برفعها. وبذلك نوّه ابن فارس. فلنا أن نرى تغير مقاصد المتكلمين بتغير فهم الرسالة بسبب عدم توخي الإعراب. فالإعراب عنصر مهم من عناصر التواصل عند العرب.

الجرجاني:

وقال الجرجاني ت471هـ (النحو في الكلام، كالملح في الطعام، إذ المعنى أن الكلام لا يستقيمُ ولا تحصل منافعه التي هي الدلالات على المقاصد، إلاّ بمراعاة أحكام

النحو فيه، من الإعراب والترتيب الخاصّ) (الجرجاني عبد القاهر،1948، 79) وقول الجرجاني هذا أفهمُ منه أن الإعراب عنصر أساسي من عناصر التواصل يرتبط بالرسالة التواصلية. وأن من ظن أن كثرة الإعراب يفسد الكلام، فيمنع التواصل، قول لا فائدة فيه، يقول الجرجاني (لأنّ الإعراب لا يقع فيه قلة وكثرة، إن اعتبرنا الكلام الواحد والجملة الواحدة، وإن اعتبرنا الجُمَل الكثيرةَ وجعلنا إعراب هذه الجملة مضموماً إلى إعراب تلك، فهي الكثرة التي لا بدّ منها، ولا صلاح مع تركها) (الجرجاني عبد القاهر،1948، 80) فلا يصلح الكلام ولا يستمر التواصل بين أطرافه، إذا تُرك الإعراب؛ لأنه يسير الى فساد. فالإعراب (هو أن يُعرب المتكلم عما في نفسهُ ويبيّنه ويوضِّح الغرض ويكشفَ اللَّبْسَ. والواضعُ كلامه على المجازفة في التقديم والتأخير زائلٌ عن الإعراب، زائغٌ عن الصواب، متعرّض للتلبيس والتعمية) (الجرجاني عبد القاهر،1948، 81) وهذا ما يرمي اليه اللسانيون التواصليون في الرسالة التواصلية، الوضوح وأمن اللبس وتوخي الصواب ومجانبة التعمية. بل إن تعقيد الرسالة التواصلية، وانطواءها على التأويلات من دواعي مجانبتها سلامة الإعراب (وما كان من الكلام معقَّداً موضوعاً على التأويلات المتكلَّفة، فليس ذلك بكثرةٍ وزيادة في الإعراب، بل هو بأن يكون نَقْصاً له ونقضاً أولى) (الجرجاني عبد القاهر،1948، 81) واستمر الجرجاني يقدم ما يقنع على أن التواصل من دون إعراب فساد للكلام، ولبس له، ما يعني فساد الرسالة التواصلية، وفساد التواصل في النهاية، قال (ألا ترى أنك لو قلت: هذا زيدْ، ورأيت زيدْ، ومررت بزيدْ، فلم تغير آخر الكلمة لكان ذلك لبسا وإفسادا، فإذا خالفت بين الحركات في آخر الاسم، ودللت بكل واحدة على معنى، اتضح المقصود، وزال اللبس والفساد) (الجرجاني عبد القاهر،1982، 98/1) وقال الجرجاني في أثر الإعراب في المقاصد (اعلم أن أصل الأسماء الإعراب... لأجل أن الاسم يكون فيه معان توجب الاختلاف، كالفاعلية والمفعولية، والاضافة، فلو لم تأت بالاختلاف، لم يفصل بين المقاصد) (الجرجاني عبد القاهر،1982، 1/107-108) فبالإعراب تتحقق الإفادة ونفع الكلام، وبالإعراب تنجح المقاصد، ويكون الفصل بينها.

قدامة بن جعفر:

وعدّ قدامة بن جعفر مجانبة الإعراب من عيوب اللفظ، قال (عيوب اللفظ ،أن يكون ملحوناً وجارياً على غير سبيل الإعراب واللغة، وقد تقدم من استقصى هذا الفن، وهم واضعو صناعة النحو) (قدامة بن جعفر، 31/1) وحين يكون في اللفظ عيبا، يكون في التواصل ذلك العيب، وفي الرسالة عيب لا يقبله المتلقي، أو السامع؛ لأن الإعراب من ضروريات سلامة الخطاب الذي به يكون التواصل سليما.

الزمخشري:

وقال المفسرون بأهمية الإعراب في استقامة الكلام، وتحقيق التواصل، قال الزمخشري ت538هـ في تفسير قوله تعالى ((ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ)) فاطر/13 (ويجوز في حكم الإعراب إيقاع اسم الله صفة لاسم الإشارة. أو عطف بيان. وربكم خبراً. لولا أن المعنى يأباه) (الزمخشري،2005، 883) فالذي يأباه الإعراب، أي لا يستقيم به الكلام؛ فيقع التعارض بين المعنى والإعراب، فتختلف معاني النحو، فلا يكون التواصل به سليما. وفي تفسير قوله تعالى ((وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ)) محمد/30، قال الماوردي ت450هـ

(واللحن هو الذهاب بالكلام في غير جهته ، مأخوذ من اللحن في الإعراب وهو الذهاب عن الصواب) (الماوردي،2012، 4/52-53) فالوقوع في الإعراب يعني الذهاب بالكلام عن الصواب؛ أي أن الإعراب مقياس الصواب، الذي بدونه لا يكون الكلام سليما، فلا تكون الرسالة سليمة، ولا يكون التواصل سليما.

النيسابوري:

وقال النيسابوري 850هـ (وذكر المحققون في إفادة اختلاف الحركة المدح والذم أن أصل المدح والذم من كلام السامع ، وذلك أن الرجل إذا أخبر غيره فقال له : قام زيد . فربما أثنى السامع على زيد وقال : ذكرت والله الظريف وذكرت العاقل . أو هو - والله- الظريف ، أو هو العاقل . فأراد المتكلم أن يمدحه بمثل ما مدحه به السامع فجرى الإعراب على ذلك أي أريد الظريف أو العاقل) (غرائب الفرقان،1965، 1/205) وقد أوردت كثيرا من نصوص العلماء العرب التي ذكرت أهمية الإعراب للكلام، لا أجد حاجة الى إعادتها، وأكتفي بما أوردت منها.

وبعد ذلك لنا أن نوقن ونقطع جازمين أن علماء العربية، على مختلف مشاربهم وتوجهاتهم من نحويين ولغويين وبلاغيين ومفسرين، مجمعون على أن الإعراب ملح الكلام، ولا كلام مفيد بلا إعراب؛ لأنه رأس الرمح للكلام الصحيح الذي يقوم على القصد والإفادة، وبكل ذلك يكون التواصل التام الناجح.

2- (وظيفة القصدية):

من معايير تمام الكلام، وفائدته، أن يكون مقصودا. والقصد فيه عدة مطالب، أن يكون في اختيار الألفاظ، التي يجد المتكلم أنها تنهض على حمل الرسالة التي أرادها، ومطابقتها لها من جهة، والقصد في توجيه الرسالة الى متلق معين، فردا أو جماعة، أي وقوع القصد التواصلي من جهة أخرى، والقصد في حصول التأثير الذي ينشده المتكلم من رسالته التواصلية (مارسيلو داسكال، 42-43 وجون سيرل،2006، 209) من جهة ثالثة. ولقد ظهر في النصوص التي سقتُها آنفا في هذا البحث، ومما اطلعتُ عليه من مؤلفات علماء العرب، من نحويين ولغويين، ومفسرين وبلاغيين، أن الكلام عندهم لا يكون ولا يتم الا بتوافر عنصر القصد فيه، وأن وظيفته هي القصدية. (إن الأساس الذي بني عليه النحو هو القصد، وهو أساس التفريق بين التراكيب النحوية وأساس بنائها) (زهراء جياد،2009، 11) فالقصد في النحو –وكما عرفنا من قبل أن أساس النحو الإعراب- كالروح في الجسد، لا يمكن أن نتصور نحوا بلا إعراب وقصد، فإذا توافرا في الكلام توافرت له عناصر النجاح المتمثلة في الإفادة وسلامة إبلاغ الرسالة فيتم التواصل الناجح التام. فلا يكون الكلام كلاما ما لم يتوافر له القصد، ويحسن السكوت عليه، وقد أجمع النحاة على توافر القصد للكلام ليكون كلاما. (ابن هشام،2/374 والسيوطي،1415ه، 1/10 وشرح الأشموني،1،1950/12) إن قصد المتكلم هو الذي يضبط الوظيفة الإعرابية، ويكون قرينة كبرى لفهم المعنى، فالقصد (قرينة تساعد في تحديد الوظيفة النحوية للكلمة وبيان دورها في التحليل النحوي للجملة) (مسعود صحراوي،2005، 200)

سيبويه:

كثيرا ما وجدنا سيبويه ت180هـ يربط الأحكام الإعرابية بالمعنى النحوي، والدلالة المقصودة، وفي كلامه ظهر أنه وظف العناصر اللغوية واللالغوية، ونية المتكلم وأثر المخاطب في فهم المقصود من الخطاب، كما أراد المتكلم إبلاغه الى متلقيه. (سارة عبد الله،2006، 17-22 وهيثم محمد،2012، 228) ويفهم ذلك من كلام سيبويه (هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة: فمنه مستقيم حسن...) (الكتاب،1983، 25/1) والمستقيم أي السليم نحويا، والحسن أي المقبول معنى، وهذا مما قصد إليه المتكلم قصدا في كلامه. وذكر علماؤنا أثر القصد في الكلام، سواء أفي حكمه الإعرابي ومعناه، أم في ماهية الكلام. فبالقصد فرّق علماء النحو بين الكلام والجملة، أي بالقصد كان التفريق بالماهية.

الرضي:

وقال الرضي ت686هـ (والفرق بين الجملة والكلام، أن الجملة ما تضمن الاسناد الاصلي سواء كانت مقصودة لذاتها أو لا، كالجملة التي هي خبر المبتدأ وسائر ما ذكر من الجمل، فيخرج المصدر، وأسماء الفاعل والمفعول والصفة المشبهة والظرف مع ما أسندت إليه. والكلام ما تضمن الاسناد الاصلي وكان مقصودا لذاته، فكل كلام جملة ولا ينعكس.) (الاستراباذي،1978، 8/1) أما علاقة القصد بتوجيه الأحكام النحوية، فأن النحويين (وجَّهوا كثيرا من الأحكام النحوية بما يناسب قصد المتكلم، محتكمين في ذلك الى السياق في الأحداث الكلامية) (حيدر جاسم الدنيناوي،2016، 48) ففي النداء إذا كان قصد المتكلم أنه ينادي نكرة مقصودة، يشخّصه سياق المقام، جاء المنادى مبنيا على ما يرفع به، مثل (يا طالبُ تعال إليّ)، فإذا كان قصده مناداة نكرة غير مقصودة نصبه مثل (يا طالبا اجتهد لتنجح). وفي النحو حالات إعرابية مماثلة لهذا، أوردتُه على نية التمثيل لا الحصر. ويظهر القصد متمثلا بالقرائن المقامية في الخطاب، حين تحتمل العبارة أكثر من معنى بحسب القصد والقرائن المقامية الدالة عليه، قال تمام حسان (نعطي مثالا بأن نسوق جملة "هذا محرَّم شرعًا" لأن فهم المنصوب هنا يتوقف على القرينة المعنوية التي تؤخذ عادة من السياق بمعونة القرائن الحالية التي في المقام, فإذا فهمنا من المقام معنى السببية كان هذا المعنى قرينة معنوية على أن هذا المنصوب مفعول لأجله، وإذا فهمنا منه معنى الواسطة كانت الواسطة قرينة معنوية على أن المنصوب هنا إنما هو على نزع الخافض، وإذا فهمنا من المقام معنى الظرفية فالنصب كذلك على نزع الخافض، وإذا فهمنا منه بيان النوع كان النصب على معنى النائب عن المفعول المطلق) (تمام حسان،1974، 354) وما ساقه تمام حسان قد يكون في نص مكتوب، يلجأ المتلقي فيه الى القرائن؛ لتحديد معناه، فإذا كان النص نفسه خطابا تفاعليا في سياق معين، كان قصد المتكلم منبئا كبيرا عن أحد التوجيهات الإعرابية المقصودة. فما دام المتكلم قاصدا خطابه، إذن لا لبس في الكلام. إنّ توافر عنصر القصد في الكلام، يجعلنا أمام حقيقة، هي أهناك كلام يقال ولا قصد لقائله في قوله؟ وقد أجاب السيوطي ت911هـ عن ذلك..

فالسيوطي: حين ذكر شروط الكلام، وهو يريد القصد الإعرابي، المؤدي الى المعنى، فقال: (فإذا قلتَ: قام الناس إلاّ زيداً، لم يخرجْ عن كونه كلاماً، ولكن خرج عن اقتضاء قيام جميعهم إلى قيام ما عدا "زيداً"، فعلم بهذا أن لإفادة قام الناس، الإخبار بقيام جميعهم شرطين: أحدهما ألاّ تبتدئَه بما يخالِفُه، والثاني ألاّ تختمَه بما يخالفه، وله شرطٌ ثالث أيضاً،

وهو أن يكونَ صادراً عن قَصْد؛ فلا اعتبارَ بكلام النائم والساهي) (السيوطي،2005، 52) فالقصد والإفادة من عناصر إقامة الكلام الذي به يكون التواصل، ومن دون القصد لا كلم ولا تواصل، كما في كلام النائم والساهي، ويمكن أن ندرج تحته كلام المجنون، والمتراجع في كلامه، الذي يقول شيئا ثم يقول لمن سمعه وأنكره: لا تبالِ، ما قصدت شيئا. ووجدنا عند المفسرين ما كان للقصد عند النحويين.

ابن عطية:

قال ابن عطية ت541هـ في تفسير قوله تعالى ((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ)) النساء/92 (بيّن الله تعالى في هذه الآية حكم المؤمن إذا قتل المؤمن خطأ، وحقيقة الخطأ أن لا يقصده بالقتل، ووجوه الخطأ كثيرة لا تحصى، يربطها عدم القصد) (ابن عطية،2007، 2/92-93) وعدم القصد في العمل هو نفسه عدم القصد في القول، وفي العمل يقود الى الخطأ، أي وقوع الشيء على غير وجهه، وفي القول يقود الى أن يكون الشيء على غير وجهه أيضا، أي تضيع وجهته. وعن علاقة القصد بالإعراب قال في قوله تعالى ((قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ)) هود/72 (وتجيء الحال على بابها مستغنى عنها، ومثال هذا قولك : هذا زيد قائماً ، إذا أردت التعريف بزيد، أو كان معروفاً وأردت التعريف بقيامه ، وأما إن قصد المتكلم أن زيديته إنما هي مادام قائماً، فالكلام لا يجوز.) (ابن عطية،2007، 3/191) فقائما حال مقبولة المعنى، إذا أريد بها ما ذكر ابن عطية من الوجهين آنفا، بحسب قصد المتكلم، أي التعريف بزيد أو التعريف بقيامه، أما إذا كان القصد أنه ما دام قائما فهو زيد فذلك وجه لا يقبله المعنى. فعلاقة القصد بالإعراب مرتبطة بالمعنى، المتداول اجتماعيا من العرف اللغوي. نفهم من هذا أن الكلام الذي لا يتضمن قصدا لا يوافق طبيعة اللغة المتداولة، ونفهم كذلك أن لا كلام من غير قصد.

ابن عادل:

ابن عادل ت675هـ، قال في اللباب (أنك إذا تتبعت كلام الناس في الأسواق تجد فيه ما يكون موزوناً واقعاً في بحر من بحور الشعر ولا يسمى المتكلم به شاعراً ولا الكلام شعراً لفقد القصد إلى اللفظ أولاً .) (ابن عادل، 13/270) فهذا كلام عرفت ماهيته بالقصد. وفرَّقنا بين الشعر والنثر بقصد المتكلم. ويعزز ذلك ما ذهب إليه أبو حيان..

أبو حيان الاندلسي ت745هـ في أهمية القصد في فهم ماهية الكلام، وهو يفسر قوله تعالى ((لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ)) آل عمران/93 (وتدل هذه الآية على أن الكلام يصير شعراً بأشياء ، منها : قصد المتكلم إلى أن يكون شعراً ، لأن هذه الآية على وزن بيت الرمل ، يسمى المجزوء والمسبع) (الأندلسي أبو حيان،2002، 2/523) وهو يريد أن بعض آيات القران الكريم جاءت على أوزان الشعر وقوافيه، فقال بعض القائلين إن بعض القرآن شعر، فرد أبو حيان ما لم يكن هناك قصد الشعر لا يعد القرآن الا قرآنا. والقصد هنا في نية المتكلم، أي كيف يكون خطابه، والماهية التي تأتي عليها رسالته التواصلية. وكذلك كان للقصد عند البلاغيين اهتمام كبير جدا، فقد اهتمت البلاغة العربية بالقصد الذي يحدثه المتكلم، في اختيار عباراته التي تنهض بمدلولاته التي قصدها (إن البلاغة تقوم في أصل وضعها، على إرادة المتكلم إيصال معنى

من المعاني، أو فكرة من الأفكار، الى الشخص المقصود بالكلام) (حمادي صمود،2010، 245-246) فقد ظهر في هذا النص قصدان يتوخاهما البلاغيون، قصد اختيار الألفاظ الحاملة للرسالة التواصلية، وقصد المتلقي المقصود بالرسالة. وقد يكون البلاغيون استعملوا مصطلح القصد ومشتقاته، أو عبارة إرادة المعنى.(مصطفى ناصف، 38) فإذا أراد المتكلم إبلاغ معنى ما الى مخاطَب فذلك يدخل في قصد المتكلم. من هنا قال الجاحظ ت255هـ (فانه لا خير في كلام لا يدل على معناك ولا يشير الى مغزاك والى العمود الذي اليه قصدت والغرض الذي اليه نزعت) (الجاحظ، 2007، 116/1) فلا قيمة للكلام عند الجاحظ ما لم يعبر عن مقصود المتكلم، أي لا قيمة تواصلية له في هذه الحال؛ لأن القصد من أهم مقومات الكلام التواصلي.

ومنهم ابن سنان الخفاجي ت466هـ: قال (إن المتكلم مَن وقعَ الكلام الذي بينّا حقيقته، بحسب أحواله من قصده وإرادته وإعتقاده، وغير ذلك من الأمور الراجعة إليه، حقيقة أو تقديراً) (الخفاجي ابن سنان،1952، 41) فالقصد ليس من صفات الكلام فحسب بل من صفات المتكلم، أن لا يرسل كلامه غفلا من غير القصد فيه، بحسب الدرجات التي نوهنا بها أول المبحث، وهي قصد انتقاء العبارات الحاملة للمقصود. وقد يكون القصد من المعاني الاجتماعية بين المتخاطبين، فيكون من إفرازات التداولية (تمام حسان،2006، 230) (فيتعلق القصد هنا بالمتلقي الذي يفهم المنطوق ضمن الاستعمال العرفي للألفاظ في مجتمع ما، وعليه يتغير القصد من عبارة معينة باختلاف المجتمعات وباختلاف الأزمان) (زهراء جياد،2009، 8)

وقد أشار الشيخ عبد القاهر الجرجاني ت471هـ الى أهمية القصد في العبارة قال في باب المجاز (إنك ذكرت الكلمة وأنت لا تريد معناها، ولكن تريد معنى ما هو ردف له أو شبيه، فتجوزت بذلك في ذات الكلمة، وفي اللفظ نفسه. وإذ قد عرفت ذلك فاعلم أن في الكلام مجازاً على غير هذا السبيل، وهو أن يكون التجوز في حكم يجري على الكلمة فقط، وتكون الكلمة متروكة على ظاهرها، ويكون معناها مقصوداً في نفسه، ومراداً من غير تورية ولا تعريض. والمثال فيه قولهم: نهارك صائم، وليلك قائم، ونام ليلي، وتجلى همي. وقوله تعالى: " فما ربحت تجارتهم... أنت ترى مجازاً في هذا كله، ولكن لا في ذوات الكلم، وأنفس الألفاظ ولكن في أحكام أجريت عليها، أفلا ترى أنك لم تتجوز في قولك: نهارك صائم، وليلك قائم في نفس صائم وقائم؟ ولكن في أن أجريتهما خبرين على النهار والليل. وكذلك ليس المجاز في الآية في لفظه ربحت نفسها، ولكن في إسنادها إلى التجارة.) (الجرجاني عبد القاهر،1994، 196-197) فحين يكون المعنى مقصودا؛ لأبلاغ رسالة مقصودة يعمد المتكلم الى انتقاء ألفاظ برصف مخصوص مقصود ينهض بالمعنى المقصود.

ومن اهتمام البلاغيين بالقصد، وعلاقة المتكلم بهذا الجانب ما ذكره ابن أبي الإصبع... ابن أبي الأصبع المصري ت654هـ وهو يتحدث عن قصد الباري في اختيار الألفاظ الغريبة في الرصف الذي يقصد به الغرابة، ففي بيان قوله تعالى ((قَالُواْ تَاللّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ)) يوسف/85 ، قال: أتى الله بالقسم بالتاء، وهو أقل وأغرب من القسم بالباء والواو، وجاء بأغرب صيغ الأفعال الناسخة، وهي تفتأ

بدلا من كان، وجاء بالفعل "حرضا" بدلا من باقي أفعال الهلاك (فاقتضى حسن الوضع في النظم أن تجاور كل لفظة بلفظة من جنسها في الغرابة أوالاستعمال، توخيا لحسن الجوار، ورغبة في ائتلاف المعاني بالألفاظ في الوضع، وتتناسب في النظم) (ابن أبي الأصبع،2006، 113-114) فعبارات اقتضى حسن الوضع، وتوخياً، ورغبة في ائتلاف... إنما هي في حقيقتها مقابلات لقصد المتكلم في أن يأتي بهذا الكلام على هذه الصورة، لإبلاغ هذه الرسالة، ذات الألفاظ الغريبة، لغرابة ما وصف به أولاد يعقوب النبي أباهم، بما لا يليق به. وقال في باب الاحتراس هو (أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دَخَل، فيفطن لذلك حال العمل، فيأتي في أصل الكلام بما يخلصه من ذلك) (ابن أبي الأصبع،2006، 113-134) أي أن المتكلم قصد أن يمحو مأخذا عليه من المخاطَب، في كلامه، فجاء بما يخلصه من ذلك المأخذ، وهو الذي يسمى الاحتراس. فيكاد القصد يكون في كل زاوية من زوابا البلاغة العربية، وبه يكون رونق الكلام، وبلاغة تأثيره، ومن دون القصد الى ذلك لا يكون شيء من هذا وذاك. ففي ما أوردت آنفا عند أشهر العلماء العرب، كفاية عن الإحصاء والإفاضة، لأخلص الى أن القصد من أساسيات الكلام عند البلاغيين أيضا، ومن دونه لا يكون كلام يُعبأ به.

3- (وظيفة تمام الكلام):

يبدو أن علماء العربية حين اشترطوا الإعراب والقصد عناصر أساسية للكلام، وبدونهما لا يكون الكلام كلاما، كانت غايتهم الوصول الى الإفادة التي هي غاية الكلام، وغاية العملية التواصلية، ووظيفتها تمام الكلام. وكثيرا ما دعا النحويون الى تحقيق الإفادة الكلامية وهي (حصول الفائدة لدى المخاطَب من الخطاب، ووصول الرسالة الإبلاغية على الوجه الذي يغلب على الظن أن يكون هو مراد المتكلم وقصده) (مسعود صحراوي،2005، 186) بدءاً من الخليل وسيبويه، مرورا بكل عصور النحو العربي، ومؤلفات النحويين. وهذا الأمر مفروغ منه؛ لأن طبيعة اللغة قامت عليه، و(إن النظام اللغوي خُلق للإفادة، أي لتبليغ أغراض المتكلم للمستمع، فهو آلة للتبليغ، جوهره تابع لما ولي من أمر الإفادة، فهو الى قوانين فن المواصلات أقرب منه الى قواعد المنطق) (نهاد الموسى،1980، 87 ورانية رمضان،2014، 73) ولا نجانب الصواب إذا قلنا إن اهتمام النحاة بالعملية التواصلية، كان عبر اهتمامهم بفائدة الكلام، الناتجة عن الرسالة بين المتكلم والمخاطب، بما يمثل أركان العملية التواصلية، وما يرافق ذلك من أحوال ومقامات (هناء محمود،224،2012 ومروة وليد،2014، 35) ويقصد بفائدة الكلام (حصول الفائدة لدى المخاطَب من الخطاب، ووصول الرسالة الإبلاغية على الوجه الذي يغلب على الظن أن يكون هو مراد المتكلم وقصده) (مسعود صحراوي،2005، 186) وواضح أن الإفادة عنصر مشترك بين المتكلم والمخاطب، يتساويان في التعامل معها، فالمتكلم يختار من الأساليب اللفظية ما يقدر على حمل الرسالة التواصلية، وإبلاغها بتمامها، ويقوم المخاطَب بتحليل هذه الرسالة، وفك شفرتها؛ لفهم مراد المتكلم تمام الفهم، وكما أراد، فههنا تحققت الإفادة الكاملة. لقد كنا في كل ما تقدم نريد الوصول بمفهوم التواصل، الى أنه نجاح عملية نقل الأفكار، والمعلومات والمشاعر الى المخاطب، فإذا تم ذلك بنجاح تكون العملية التواصلية قد حققت المرجوَّ منها، المتمثل بتبليغ أغراض المتكلم الى المستمع (نهاد

الموسى،1980، 87) وقد اشترط النحاة العرب في كلامهم عن الكلام أن تحصل به الفائدة، كما صرح ابن مالك في ألفيته –كما سنرى- وأن الإفادة كانت مترافقة مع الإعراب والقصد، تُذكر كلما ذُكرا، فلا أجد ما يدعو الى بسط القول فيها أكثر مما تقدم ، فأن تحقيق الفائدة من الكلام قال به جل علماء العربية.

سيبويه:

قال سيبويه ت180هـ (هل رأيتم شيئاً يكون موصوفاً لا يُسكَت عليه؟ فقيل لهم: نعم، يا أيها الرجل. الرجل وصفٌ لقوله يا أيها، ولا يجوز أن يُسكَت على يا أيها.) (الكتاب،2،106/1983) لم يحسن الوقوف عليه لعدم تحقق فائدة الكلام. وقال المبرد (وإنما كان الفاعل رفعاً لأنه هو والفعل جملةٌ يحسن عليها السكوت، وتجب بها الفائدة للمخاطب) (المبرد،1،146/1994) وفي باب المسند والمسند اليه قال (فالابتداء نحو قولك: زيدٌ. فإذا ذكرته فإنما تذكره للسامع؛ ليتوقع ما تخبره به عنه، فإذا قلت منطلق أو ما أشبهه صح معنى الكلام، وكانت الفائدة للسامع في الخبر) (المبرد،1994، 404/3).

ابن السراج وابن الأنباري:

قال ابن السراج (أصل الكلام أن يكون لفائدة) (ابن السراج،1988، 73/1) وقال ابن الأنباري ت328هـ (باب علم ما الكلم، إن قال قائل ما الكلم؟ قيل الكلم اسم جنس واحدته كلمة.. فإن قيل ما الكلام؟ قيل ما كان من الحروف دالًّا بتأليفه على معنى، يحسن السكوت عليه، فإن قيل ما الفرق بين الكلم والكلام؟ قيل الفرق بينهما أن الكلم ينطلق على المفيد وعلى غير المفيد؟ وأما الكلام فلا ينطلق إلا على المفيد خاصة) (ابن الأنباري،1،28/1995) فالكلام الفائدة التي يحسن السكوت عليها، باتفاق علماء العربية، ولا يحتاج الكلام الى إثبات ما هو ثبت وراسخ.

ابن مالك:

من هنا - الكلام الفائدة التي يحسن السكوت عليها – اختصر ابن مالك 672هـ هذه النظرة، وأيقن أن مراد علماء العربية من كل كلام أن يكون بضمن قواعده الإعرابية، وتوافر القصد له؛ ليقودنا الى التواصل السليم، أي الإفادة، فجاء في ألفيته:(ابن مالك، ...)

كلامنا لفظ مفيد كاستقم واسم وفعل ثم حرفٌ الكلم

(فكلام + نا) متكلم ومخاطب، و(لفظ) شفرة، و(مفيد) أي تضمن الإعراب والقصد لتحقيق الفائدة. والإفادة (أساس من أسس التواصل القائمة في الكلام العربي وهو الإفهام، وهو الذي عني به النحاة، وسجلوا ملاحظاتهم في مصنفاتهم بشأنه) (احمد حسين،2017، 195)

ابن هشام:

قال ابن هشام ت761هـ في باب مسوغات الابتداء بالنكرة (لم يُعوِّل المتقدمون في ضابط ذلك إلا على حصول الفائدة، ورأى المتأخرون أنه ليس كل أحدٍ يهتدي الى مواطن الفائدة، فتتبعوها، فمن مُقلّ مُخلّ، ومن مُكثر مُورد ما لا يصلح أو معدِّد لأمور متداخلة) (ابن هشام،467/2) فإذا انتفت الفائدة يعني اختل عنصر من عناصر التواصل كالإعراب أو القصد مثلا.

وقال ابن سنان 466هـ من البلاغيين (والكلام عندنا على ما انتظم من هذه الحروف التي ذكرناها... إذا وقع ممن تصح منه أو من قبيله الإفادة) (الخفاجي ابن سنان،1952، 26) فصحة الكلام الإفادة. وقال عبد القاهر الجرجاني ت471هـ (فصل القول على فروق في الخبر، أولُ ما ينبغي أن يُعْلَم منه أنَّه ينقَسمُ إلى خبرٍ، هو جزءٌ من الجملةِ لا تتمُّ الفائدة دونَه، وخبرٍ ليس بجزءٍ منَ الجملة ولكنه زيادةٌ في خبرٍ آخرَ سابقٍ له. فالأولُ خبرُ المبتدأ كمنطلقٌ في قولك: زيدٌ منطلقٌ. والفعلُ كقولك : خرجَ زيدٌ . فكلُّ واحدٍ من هذين جزءٌ منَ الجملة وهو الأصلُ في الفائدة) (الجرجاني عبد القاهر،123،1994) فالخبر هو الجزء الذي تتم به الفائدة في الكلام. ولا كلام بلا فائدة.

هذه ثلاث وظائف وقفتُ عليها، ارتبطت بثلاثة عناصر تواصلية- ذكرتها في دراسة أخرى- أضافها العرب الى العناصر الستة، التي عرفها التواصل اليوم، اشترط علماء العربية وقوعها في الكلام لتكون غاية التواصل متحققة بين المتخاطبين. فتكون لدينا تسعة عناصر للتواصل عند العرب، بدلا من ستة، أوردها ياكبسون للتواصل في النظرية التواصلية الغربية. وفضلا عن الوظائف الست التي عرفها العرب، وهي الوظائف المعروفة في الدرس التواصلي اليوم، فقد أضاف العرب وظائف أخرى، وجدوا أن الكلام يؤديها في أثناء الخطاب (التواصل)، وسبق أن ذكرت ثلاثا منها مقرونة بالعناصر التواصلية الثلاثة، وهي:(سبق أن ذكرتُ الوظائف الست وهنا استأنف بالعدد السابع)

7- (وظيفة الإبانة ارتبطت بالإعراب).
8- (ووظيفة القصدية ارتبطت بالقصد).
9- (ووظيفة تمام الكلام ارتبطت بالإفادة).

فهذه تسعُ وظائف ذكرها العرب للتواصل، بعضها يُعدّ من خصوصيات الوظائف العربية. وهناك مزيد من الوظائف، ذكرها علماؤنا العرب، وقفتُ عليها، بعضها من خصوصيات العربية أيضا. سأشير اليها الآن، بما يدل دلالة قاطعة على أن العرب عرفوها، فنكون أمام فكر تواصلي عربي غني، أوسع من الفكر التواصلي اليوم؛ ليقودنا وقوفنا هذا في آخر الفصل الى نتيجة مهمة، نخرج بها من هذه الدراسة بإذن الله. إن وظائف اللغة ليست حكرا على أحد ولا محددة بلغة، ولا بقوم، وأننا (مهما تتبعنا الحديث عن وظائف اللغة، فأننا قد لا نظفر برؤية محددة ومتفق عليها؛ إذ إن تحديد الوظائف يظل متأثرا بالحقل المعرفي للدارس، الذي ينتمي اليه أساسا، فها هو الإعلامي أيضا، يرى ان وظيفة اللغة الأساس هي وظيفة إعلامية) (عبد الهادي الشهري،20،2004)

10-الوظيفة التفسيرية (أو التأويلية):

هي من وظائف العرب خاصة؛ لأنها مرتبطة بتفسير القرآن العظيم، أو تأويله، فاللغة التي استعملها الرسول (ص)؛ لتفسير القرآن الكريم كانت وظيفتها التواصلية مع المخاطبين، أو المتلقين أو السامعين من الصحابة وظيفة تفسيرية. وعلى ذلك بنيت التفاسير، على مختلف مناهجها، ولا سيما التفاسير التي اعتمدت التفسير عن طريق سلسلة متواصلة عن التابعي عن الصحابي عن الرسول (ص) وهكذا. وقد بيّن ابن كثير ت774هـ الوظيفة التواصلية التفسيرية بوضوح قال (فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فمَا أَحْسَنُ طُرُقِ التَّفْسِيرِ؟

فَالْجوابُ: إنَّ أصَحَّ الطُّرُقِ في ذلك أنْ يُفَسَّرَ القرآنُ بالقرآنِ، فما أُجْمِلَ في مكَانٍ فإنه قد بُسِطَ في مَوْضِعٍ آخرَ، فإن أعْياكَ فَعَلَيْكَ بالسُّنَّة؛ فإنها شَارِحةٌ للقُرْآنِ وَمُوَضِّحةٌ له، وحِينَئذٍ إذا لم نَجِدِ التفْسِيرَ فِي القُرآنِ ولا في السُّنةِ رَجَعْنا في ذلك إلى أَقْوالِ الصَّحابةِ؛ فإنهم أدْرَى بذلك لما شَاهَدُوا من القَرائِنِ والأحْوالِ التي اخْتُصُّوا بها، ولِما لهم مِنَ الفَهْمِ التَّامِ والعِلْمِ الصَّحِيح والعَمَلِ الصَّالِحِ، لاسيَّما عُلَماءَهُم وكُبَراءَهُمْ كالأئمَّةِ الأربعةِ الخُلَفاءِ الرّاشِدين، والأئمة المهتدِينَ الْمهدِيّينَ، وعَبْدَ الله بن مَسْعودٍ -رضي الله عنهم أجمعين- وإذا لم تَجِدِ التفْسِيرَ في القُرآنِ ولا في السُّنةِ ولا وَجَدْتَهُ عنِ الصَّحابةِ فقد رَجَعَ كَثير من الأئمةِ في ذلك إلى أقوالِ التَّابِعينَ) (ابن كثير،1،7/1999) فمثلما كانت الوظيفة الواصفة للغة وظيفة تواصلية، فكذلك هنا وظيفة شارحة للقرآن وموضحة للغته وتراكيبه، هي الوظيفة التفسيرية. ونقل السيوطي ت911هـ ما يدل على قولهم بالوظيفة التفسيرية للغة، التي تناولت بيان القران الكريم، قال (عن ابن عباس قال: تفسير القرآن على أربعة وجوه: تفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعذر الناس بجهالته من حلال أو حرام، وتفسير تعرفه العرب بلغتها، وتفسير لا يعلم تأويله إلا الله. من ادعى علمه فهو كاذب) (السيوطي،2،11/2010) فالوظيفة التفسيرية للغةِ القران لا يعلمها المتلقي، وإنما يخبر بها، ولا يحق له أن يدّعيها.

ومن ذلك ما قاله الطاهر بن عاشور (قد وفيتُ بما نويت، وحقق الله ما ارتجيتُ، فجئتُ بما سمح به الجُهد، من بيان معاني القرآن ودقائق نظامه وخصائص بلاغته، مما اقتَبس الذهنُ من أقوال الأيمة، واقتدح من زَنْد لإنارة الفكر وإلهاب الهمّة، وقد جئتُ بما أرجو أن أكون وُفِّقْتُ فيه للإبانة عن حقائقَ مغفولٍ عنها، ودقائق ربما جَلَتْ وجوهاً ولم تَجْلُ كُنْهاً، فإن هذا مَنَال لا يبلغ العقلُ البشري إلى تمامه) (الطاهر بن عاشور،30/557) فالوظيفة التواصلية التي ارتجاها المفسر من كلامه هذا هي التفسيرية، نقلا عن الأئمة، للإبانة عن الحقائق والدقائق... التي لا يبلغها العقل من أسرار كلام الله. إن الوظيفة التفسيرية تختلف عن الوظيفة الإفهامية؛ لأن التفسيرية تقوم على فهم الرسالة التواصلية وفقا لآليات فهم النص القرآني، المتمثلة في أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمجمل والمفصل، وقبل كل هذا ما جاء به رسول الرحمة (ص) المبيّن الأول للقرآن الكريم نقلا عن جبريل (ع) عن رب العزة تبارك في علاه، وليس للوظيفة الإفهامية هذه الخصوصية. وفارق آخر بين الوظيفتين، أن التفسيرية متعلقة بفهم النصوص القرآنية المقدسة، وأن الإفهامية ليست كذلك، وفي الوظيفة التفسيرية، أن منتج النص، رب العزة، ينتجه وهناك طرف آخر يوضح الرسالة التواصلية منه، وهو نبي الرحمة، ثم تولى الصحابة فالتابعون فالعلماء المهمة، وليس للمتلقي أن يفهم من نفسه.

11- الوظيفة التعليمية:

اللغة هي مدار العملية التواصلية، وركنها العملي، وقد وقفنا على ما تقدمه اللغة من وظائف في العملية التواصلية، في ما تقدم من عرض للوظائف. ولقد لمست أن هناك وظيفة أخرى للغة عند العرب، ظهرت في مؤلفاتهم التعليمية، أو منظوماتهم النحوية، أو في أقوالهم ذات الطابع التعليمي. كانت الوظيفة المقصودة من الحدث التواصلي هي الوظيفة التعليمية. فكان لدينا التواصل التعليمي. ولكنه تواصل بالنص المكتوب، فقناة

التواصل هنا هي الكتابة. وقد يكون التواصل بحلقات العلم. فإذا ما علمنا أسباب نشأة النحو العربي، ودخول الأعاجم الى العربية، وفشو اللحن بين النشْء، وغيرهم، أدركنا أن من أُولى الوظائف التواصلية في الفكر العربي، هي الوظيفة التعليمية. قالت الدكتورة خديجة الحديثي (رح) وهي تتحدث عن أنواع العلل عند الزجاجي (فالتعليمية يتوصل بها إلى معرفة كلام العرب، فهي ضرورية لتحقيق غاية النحو التعليمية) (خديجة الحديثي،74،2001) وفي ذلك سبقها ابن الأنباري ت328هـ قائلا، في باب علم ما الكلم: (إن قال قائل: ما الكلم؟ قيل الكلم اسم جنس واحدته كلمة... فإن قيل: ما الكلام قيل ما كان من الحروف دالا بتأليفه على معنى يحسن السكوت عليه، فإن قيل ما الفرق بين الكلم والكلام؟ قيل الفرق بينهما أن الكلم ينطلق على المفيد وعلى غير المفيد، وأما الكلام فلا ينطلق إلا على المفيد خاصة، فإن قيل فلم قلتم إن أقسام الكلام ثلاثة لا رابع لها؟ قيل لأنا وجدنا هذه الأقسام الثلاثة يعبر بها عن جميع ما يخطر بالبال، ويتوهم في الخيال، ولو كان ههنا قسم رابع لبقي في النفس شيء لا يمكن التعبير عنه..) (ابن الأنباري،1،1995/28) فما الهدف من هذا النص الذي ساقه ابن الإنباري؟ ما الوظيفة التي ارتجاها من الأسئلة المتعددة التي ساقها؟ هي وظيفة تعليمية ولا شك. وهي تختلف عن الإفهامية والتفسيرية، وإن كان المشترك بين الجميع هو الإفهام، ولكن مع خصوصية كل وظيفة. وقد تكون الوظيفة المرتجاة من التأليف تعليمية، أو تأصيلية معيارية، أي تأصيل أسس النحو العربي وقواعده، وبيان الصواب في اتباعه، كما لاحظنا ذلك في كتاب سيبويه، المعتمد على فكر الخليل التأصيلي المستمد من السماع القرآني، في جملة أسئلة وجهها إليه والى يونس بن حبيب. ونلمس الوظيفة التعليمية واضحة في قول الزجاجي ت 337هـ في العلل (فأما التعليمية، فهي التي يتوصل بها إلى تعلم كلام العرب) (الزجاجي،64،1959) وإذا نظرنا في قول ابن مضاء القرطبي ت592هـ، واصفا العلل التعليمية (أن العلل الأُوَل بمعرفتها تحصل لنا المعرفة بالنطق بكلام العرب المدرك منا بالنظر) (القرطبي ابن مضاء،131،1979) لأدركنا أن الوظيفة التعليمية في النحو كانت ماثلة أمام أعين علماء العربية. يدل على ذلك سبب نشأة النحو وتعلمه قال الزجاجي (فإن قال قائل: فما الفائدة في تعلم النحو؟... يقال له: الفائدة فيه الوصول الى التكلم بكلام العرب على الحقيقة صوابا غير مبدل ولا مغيّر) (الزجاجي،95،1959) فالوظيفة التعليمية واضحة في قول الزجاجي. (صارة تونسي،12،2017) إن ارتباط التعليمية أو الباعث التعليمي بصيانة اللغة، وظيفة مصاحبة لدراسة النحو العربي، لارتباطه بالمعيارية والتحليل اللغوي، والجانب التواصلي للرسالة(معمر العاني،193،2019)

12-الوظيفة المعجمية:

من طرائق التواصل اللغوي، التواصل بالكتابة، أي بتأليف الكتب أو بالرسائل، أو أي شيء يدخل تحت باب الكتابة. وقد عرفنا آنفا أن الوظيفة التعليمية من وظائف المؤلفات التعليمية، أو حلقات العلم التي تعقد للتعليم. والآن أريد أن أنوّه بوظيفة أخرى مرتبطة بنوع آخر من التآليف العربية، وأقصد بها المعجمات العربية. فيبدو من أقوال المعجميين أن الغاية من تأليف المعجمات هي الوظيفة المعجمية القائمة على حفظ اللغة، وتوصيلها الى أبنائها، بتعاقب أجيالها. فهي وإن كانت وظيفة تعليمية، لكنها قائمة على حفظ اللغة،

ووصف ما يرتبط بها من اشتقاق وتصريف وغير ذلك. وكان ابن خلدون ت808هـ قد نوّه بالوظيفة المعجمية، وهي حفظ اللغة، إذ قال (فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث) (ابن خلدون،547،2006) علما أن مفهوم ابن خلدون من (علم اللغة) هو علم المعجمات العربية. (احميدة العوني،35) وهو المفهوم نفسه عند الفيروزابادي ت718هـ (الفيروزابادي، 5المقدمة) وقد (دعت الحاجة إلى تدوين اللغة العربية في معجمات؛ وذلك لتمكين أبناء المجتمع العربي من حفظها وتعلمها، وحماية العربية من الدخيل) (فاتح زيوان،2017، على النترنت) فوظيفة المعجم العربي تكمن في أهداف تدور في حفظ لغة القران الكريم، وهي اللغة العربية، وحمايتها من اللحن والفساد والمحافظة على دوامها واستمراريتها، وجمع ثروتنا اللغوية مقرونة بالشرح والاستشهاد. (حياة لشهب،11،2011) فضلا عن (أن المجموعة الكبيرة من المعجمات والأعمال المعجمية، قد ألفت من العرب، ومن المسلمين الذين تطبعوا مع العرب، التي ما كان سيحصل الاهتمام بتأليفها لولا التلوث السريع في اللغة...) (لين ادوارد،15،1992) كل هذا – كما يقول لين- لضم كل شيء يمكن الحفاظ عليه من العربية القديمة وإنقاذه. (لين ادوارد،15،1992) فلا يمكن بحال أمام هذا التحدي أمام علماء العربية الغيورين على لغة قرآنهم وعربيتهم إلا أن يضعوا مؤلفاتهم المعجمية بوظيفة معجمية مهمة ألا وهي الحفاظ على هويتهم ووجودهم. وليس أدل على ذلك من عمل الخليل الفراهيدي في معجمه العين الذي أقامه على منهج إحصائي أراد له جمع اللغة كلها، المستعمل منها والمهمل، وهو يريد من ذلك الحفاظ عليها. جاء في مقدمة العين (هذا ما ألفه الخليل بن أحمد البصريّ - رحمة الله عليه - من حروف: أ، ب، ت، ث، مع ما تكمَّلَت به، فكان مدار كلام العرب وألفاظهم، فلا يخرج منها عنه شيء. أراد أن تَعْرِفَ به العربُ في أشعارها وأمثالها ومخاطباتها فلا يشذُّ عنه شَيْء من ذلك) (الخليل،معجم1 /47 وجون هيود،15،2004) وواضح أنه أراده حافظا شاملا للغة العرب. والى ذلك ذهب ابن سيدة ت456هـ منوها بالوظيفة المعجمية الحفاظية الجامعة للغة (فلما رأيتُ اللغة على ما أريتك من الحاجة إليها، لمكان التعبير عما نتصوره، وتشتمل عليه أنفسنا وخواطرنا، أحببت أن أجرد فيها كتاباً، يجمع ما تنشّر من أجزائها شعاعاً، وتنثّر من أشلائها حتى قارب العدم ضياعاً) (ابن سيدة،معجم،4 المقدمة) وهذه كانت غاية أغلب من وضع معجما عربيا، في القرون الأولى للتأليف المعجمي.

13-وظيفة التعمية (الألغاز النحوية):

لما كان الفهم والإفهام محور الرسالة التواصلية، وهي الغاية التي اهتم بها الدارسون، حرصا على إبلاغ الرسالة كما هي، وجدتُ عند العرب فناً آخر يقوم على إخفاء الرسالة التواصلية أو تعميتها، فتكون لديهم (وظيفة التعمية) (عبد الهادي الشهري،20،2004)؛ لإخفاء القصد عن المتلقين غير المقصودين، أو ليصل إليها المتلقي بعد كدّ وإعمال ذهن؛ ليكون نوعٌ من الترف الفكري، وتقويم الأذهان وشحذها. وهذا الأخير هو الذي قصدت اليه. حتى صار علما يسمى بعلم الألغاز وهو (علم يعرف منه دلالة الألفاظ على المراد دلالة خفية في الغاية، لكن بحيث لا تنبو عنه الأذهان السليمة، بل

تستحسنها وتنشرح إليها) (السيوطي،،20035) والألفاظ المترادفة في هذا الفن هي:الأُحجية والمحاجاة والمعاياة، واللُّغز والمعمّى والأُغلوطة، وبينها فروق دقيقة (النويري، 3/162-163والسخاوي،91،1985 والقريشي صالح هادي وإيمان سليم يوسف،2017، 354) والفرق بين اللغز والتعمية، أن اللفظ المُلغز إذا أُريد به لفظ آخر فهو مُعمّى، وإن أريد به ذاتٌ فهو لغز. (السيوطي،2003، 5 والقريشي صالح هادي وإيمان سليم يوسف،2017، 352) وقد أَلّف فيه كثير من علماء العربية منهم: ألغاز الحريري وإفصاح الفارقي وأحاجي الزمخشري وأحاجي السخاوي وألغاز ابن هشام وخالد الأزهري وغيرهم كثير. (عبد الحي كمال،1401ه،7-9 والقريشي صالح هادي وإيمان سليم يوسف،2017، 353) وقال الفارقي ت487هـ مبيناً وظيفة هذا النوع التواصلي (فاعتمدت في ذلك على جمع أبيات ألغزَ قائلُها إعرابَها، ودفن في غامض الصنعة صوابها، وكانت ظواهرها فاسدة قبيحة وبواطنها جيدة صحيحة... فيحصل منها الأُنس عند الخلوة، والاعتماد بها على اجتذاب السلوة، وصار شحذ الخاطر بها، وكدّ الناظر في كشف معجبها، فائدة جمة...).(الفارقي أبو نصر،1974، 52-53 وابن هشام،1997، 26 خالد الأزهري،2013، 108 (ورد هذا النص نفسه منسوبا لهؤلاء العلماء الذين ذكرتُهم آنفا) إذن هذا نوع من التواصل يقوم على كد الناظر لكشف الغامض، وذلك لفوائد لا لأجل الأبهام المطلق. وعدّها الزمخشري مسالك محاجاة في سلوك معاياة، رياضةً للأذهان حتى تستقيم بعد جموح. (الزمخشري،70،1973) وغاية الإلغاز هذه يبدو من ظاهرها عدم الهداية، ولكن غايتها إيصال المتلقي الى المقصود من الرسالة بعد بحث ونظر وإعمال فكر. (عبد العزيز علي سفر،16،2000)

إن تعدد الوظائف في الرسالة التواصلية الواحدة، أمر وارد نوّه به ياكبسون وذكرناه من قبل، ولكن الوظيفة المقصودة هي التي تقفز الى القمة في الحدث التواصلي، وتليها وظائف أخرى (فمن المستبعد أن تستعمل عبارة ما، من عبارات لغة طبيعية، في أي ظرف من الظروف، لأداء وظيفة واحدة فقط، مع استبعاد الوظيفة الأخرى بصفة كلية).(براون ويول،1،1997) وقد يكون هذا من استراتيجيات نجاح الخطاب التواصلي، القائم على وظائف متعددة (فقد توجد أكثر من وظيفة في الخطاب الواحد، بل قد لا يستطيع المرسل أن يحقق مقصده إلا من خلال تضافر هذه الوظائف مجتمعة) (عبد الهادي الشهري،20،2004)

النتيجة: هذه كانت سبع وظائف عرفتها العرب، فضلا عن الوظائف الست التي عرفها الدرس التواصلي اليوم، ما يدل دلالة قاطعة على أن للعرب تواصلا خاصا بهم، مرتبطا بلغتهم وخصوصيتها، مما يدعو النظر الجاد الى البحث عن نظرية تواصلية عربية، تمتاز بخصوصية البيئة العربية، واللغة العربية ولغة القرآن.

المصادر

- رفيق لبوحسيني- الأبعاد الرابطة بين اللغة العربية والتواصل- ط1- سلسلة فكر ونقد- د.ت
- مارسيلو داسكال- الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة-- ترجمة حميد الحمداني وآخرين- مط افريقيا الشرق- المغرب- د.ت
- ابراهيم ابو يعقوب- الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي-- دار مجدلاوي- عمان- د.ت
- فهد محمد الحارثي- الاتصال اللغوي في القران الكريم دراسة تأصيلية في المفاهيم والمهارات-- ط1- منتدى المعارف- بيروت 2014م
- السيد العربي يوسف- الاتصال اللغوي ومجالاته- (بحث من 29 صفحة) منشور على الانترنت شبكة الألوكة.
- عبد الكاظم الحسيني- أثر السياق في توجيه دلالة الألفاظ- ط1- جيكور للطباعة والنشر- بيروت 2017م
- سارة عبد الله الخالدي- أثر سياق الكلام في العلاقات النحوية عند سيبويه- (ماجستير) الجامعة الأمريكية- بيروت 2006م
- عبد الحي كمال- الأحاجي والألغاز الأدبية- ط2- مطبوعات نادي الطائف 1401هـ
- القريشي صالح هادي والمدرسة إيمان سليم يوسف-الأحاجي والألغاز موازنة بين تحقيقي كتاب ابن هشام (الألغاز النحوية)- (بحث) مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية- جامعة بابل- ع33 سنة 2017م
- الزمخشري-أساس البلاغة (معجم)
- خالد كاظم حميدي- أساليب البديع في نهج البلاغة دراسة في الوظائف الدلالية والجمالية- (أطروحة دكتوراه) جامعة الكوفة 2011م
- سعيد بنكراد- استراتيجيات التواصل من اللفظ الى الإيماءة- (بحث) مجلة علامات- النادي الأدبي الثقافي- السعودية ع21 سنة 2004م
- عبد الهادي بن ظافر الشهري- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية- ط1- دار الكتب الجديدة- ليبيا2004م
- الجرجاني عبد القاهر- أسرار البلاغة- علق حواشيه أحمد مصطفى المراغي- ط1- المكتبة التجارية- القاهرة 1948
- ابن الأنباري- أسرار العربية- تحقيق فخر صالح قدارة- ط1- الناشر دار الجيل– بيروت 1995م
- القريشي صالح هادي- الأسرة والقرابة والأهل في القران الكريم دراسة دلالية تحليلية في الألفاظ والأساليب- دار الفراهيدي- بغداد 2014م

- ادريس مقبول- الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه- ط1- عالم الكتاب الحديث- الأردن 2007م
- سليم حمدان- أشكال التواصل في التراث البلاغي العربي دراسة في ضوء اللسانيات التداولية- (ماجستير) الجزائر 2009م
- ابن السراج- الأصول- تحقيق د.عبد الحسين الفتلي- ط3 طبع مؤسسة الرسالة- لبنان 1988م
- الفارقي أبو نصر- الإفصاح في كشف أبيات مشكلة الإعراب- تحقيق سعيد الأفغاني- ط2- جامعة بنغازي 1974م
- احمد حسين حيال- الإفهام في النحو العربي مقاربة تداولية (بحث منشور) في مجلة كلية الشيخ الطوسي الجامعة- العدد4- النجف 2017م.
- د.عبد العزيز علي سفر- الإلغاز النحوي وأمن اللبس- (بحث) حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية الحولية 20 سنة 2000م
- ابن هشام- الألغاز النحوية- تحقيق موفق فوزي الجبر- ط1- دار الكتاب العربي- دمشق 1997م
- السيوطي- الألغاز النحوية المسمى الطراز في الألغاز- تحقيق طه عبد الرؤوف سعد- نشر المكتبة الأزهرية للتراث- مصر 2003م
- خالد الأزهري- الألغاز النحوية في علم العربية- تحقيق د.حيدر جبار ود.حسن عبد المجيد- (بحث) مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية- العدد13 سنة 2013م
- د.بشير بريـر- آليات تحليل الخطاب في كتاب سيبويه- (بحث منشور) مجلة كلية الآداب واللغات العددان10-11- الجزائر
- الزجاجي-الإيضاح في علل النحو- تحقيق عبد الحسين المبارك- القاهرة 1959م
- د.طه عبد الرحمن- البحث اللساني والسيميائي- (بحث) ندوة كلية الآداب والعلوم الإنسانية- الرباط- جامعة محمد الخامس 1980م
- أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط - تحقيق د.عبد الرزاق المهدي- ط2- دار إحياء التراث العربي- بيروت 2002م
- البرهان في إعجاز القرآن أو بديع القرآن- ابن أبي الأصبع المصري- تحقيق د.أحمد مطلوب ود.خديجة الحديثي- منشورات المجمع العلمي العراقي- 2006م
- البعد التواصلي للغة- عبد النور القلعي- بحث على الانترنت2012م.
- البيان والتبيين – الجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون – ط4- دار الفكر- بيروت د.ت
- تاج العروس- الزبيدي- معجم
- التحرير والتنوير- ابن عاشور- طبعة جديدة منقحة- ط1- مؤسسة التاريخ- بيروت د.ت

- تحليل الخطاب- جورج ويول- ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي- مطابع جامعة الملك سعود- السعودية 1997م
- مسعود صحراوي- التداولية عند العلماء العرب- دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية " ..في التراث اللساني العربي- ط1- دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت- 2005م
- كلاش حنيفة- تطور ظاهرة الإعراب في الدرس اللغوي العربي دراسة تاريخية- (رسالة ماجستير) الجزائر 2012م
- ابن كثير-تفسير القران العظيم- المقدمة تحقيق سامي محمد سلامة- ط2- دار طيبة للنشر والتوزيع- السعودية 1999م
- حمادي صمود التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره الى القرن السادس (مشروع قراءة)- منشورات الجامعة التونسية- تونس 1981م
- الأزهري- تهذيب اللغة- (معجم)
- حافظ اسماعيلي علوي– التداوليات علم استعمال اللغة- ط1- عالم الكتب الحديثة- 2011م
- فيليب بلانشيه- التداولية من أوستن الى غوفمان- ترجمة صابر الحباشة- ط1- دار الحوار للنشر- 2007م
- صابر الحباشة- التداولية والحجاج مداخل ونصوص- طبع صفحات للدراسات والنشر- سورية 2008م
- حسني إبراهيم عبد العظيم- التصنيفات العلمية للاتصال الإنساني- (بحث) على الانترنت- مدونة الحوار المتمدن- العدد: 4075 – تاريخ النشر 2013 / 4 / 27
- مخلوف سيد أحمد- التصور الفينومينولوجي للغة، قراءة في فلسفة اللغة عند ادموند هوسرل- (دكتوراه) الجزائر2013م
- التواصل اللساني دراسة في كتاب المثل السائر لابن الأثير- مروة وليد أحمد- (رسالة ماجستير) جامعة بغداد 2014م
- علي جواد كاظم- التواصل اللساني في شرح كتاب سيبويه- (أطروحة دكتوراه) – تربية مستنصرية 2018م
- ابن جني-الخصائص- تحقيق محمد علي النجار- دار الشؤون الثقافية بغداد- 1990م
- عواطف كنوش- الدلالة السياقية عند اللغويين- (اطروحة دكتوراه) جامعة البصرة- 1991م
- الجرجاني عبد القاهر- دلائل الإعجاز في علم المعاني- تصحيح محمد عبده ومحمد محمود الشنقيطي وعلق عليه محمد رشيد رضا- دار المعرفة- بيروت 1994م
- جبران مسعود- الرائد- (معجم)

- القرطبي ابن مضاء- الرد على النحاة- تحقيق محمد ابراهيم البنا- دار الاعتصام- 1979م
- الخفاجي ابن سنان- سر الفصاحة- صححه عبد المتعال الصعيدي- مطبعة محمد علي صبيح واولاده- مصر 1952م
- الجواليقي- شرح أدب الكاتب- قدم له مصطفى صادق الرافعي- نشر مكتبة القدسي- القاهرة 1350هـ
- الأشموني- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك- تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد- ط1- دار الكتاب العربي- بيروت 1955م
- الاستراباذي الرضي- شرح الرضي على الكافية- تصحيح يوسف حسن عمر- منشورات مؤسسة الصادق- طهران 1978م
- ابن فارس ابو الحسن احمد - الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها- عني بتصحيحه ونشره المكتبة السلفية – مطبعة المؤيد – القاهرة – 1910.
- الصحاح- الجوهري- (معجم)
- جون سيرل- العقل واللغة والمجتمع الفلسفي في العالم الواقعي- ترجمة سعيد الغانمي ط1- منشورات الاختلاف- الجزائر 2006م
- النيسابوري نظام الدين- غرائب القران ورغائب الفرقان- تحقيق ابراهيم عطوة عوض- ط1- مطبعة البابي الحلبي- القاهرة مصر 1965م
- الهروي ابن سلام-غريب الحديث- تح محمد عبد المعين خان- ط1- دار الكتاب العربي- بيروت 1396هـ
- خليفة بو جادي - في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم--ط1- بيت الحكمة للنشر- الجزائر 2009م
- القريشي صالح هادي- في اللسانيات المعاصرة، التواصلية والتداولية ومعايير النص القرانية- مطبعة السطور بغداد 2018م
- زهراء جياد عباس- القصدية في النص القراني- (اطروحة دكتوراه)- جامعة الكوفة 2009م
- حيدر جاسم جابر- القصدية وأثرها في توجيه الأحكام النحوية حتى نهاية القرن الرابع الهجري- ط1 - دار الوضاح للنشر عمّان 2016
- هيثم محمد- القصدية والإنجازية في مضمون الخطاب النحوي في كتاب سيبويه- (بحث منشور) مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية- جامعة الموصل المجلد11 العدد3 سنة 2012م
- رومان ياكبسون- قضايا الشعرية- ترجمة محمد الولي ومبارك حنون-ط1- دار توبقال للنشر- المغرب 1988م
- العسكري- كتاب الصناعتين- التزمه محمد علي صبيح- ط2- مطبعة محمد علي صبيح بالأزهر- مصر د.ت
- سيبويه-الكتاب- تحقيق عبد السلام هارون- ط3- مصر 1983م

- الزمخشري-الكشاف- اعتنى به وخرج أحاديثه خليل مأمون شيحا- ط2- دار المعرفة- بيروت 2005م
- ابن عادل الحنبلي- اللباب في علوم الكتاب- ش
- ابن منظور- لسان العرب- (معجم)
- طه عبد الرحمن- اللسان والميزان (التكوثر العقلي)- -ط1- المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء و بيروت 1998م
- نعمان بوقرة- اللسانيات،اتجاهاتها وقضاياها الراهنة- ط1- عالم الكتب الحديث- عمّان 2009م
- تمام حسان-اللغة العربية معناها ومبناها- الهيئة المصرية للكتاب- 1973م
- ابن مالك- متن الألفية- المكتبة الشعبية- بيروت- د.ت
- ابن الأثير- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر- تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد- المكتبة العصرية- بيروت 1995م.
- ابن الأثير- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر- قدمه وعلق عليه د.احمد الحوفي ود.بدوي طبانة- ط2- دار نهضة مصر للطباعة والنشر- د.ت
- الزمخشري-المحاجاة بالألغاز النحوية- تحقيق د.بهيجة باقر الحسني- مطبعة أسد- بغداد 1973م
- ابن عطية- المحرر الوجيز- تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد- ط2- دار الكتب العلمية- بيروت 2007م
- الصاحب بن عباد- المحيط في اللغة- (معجم)
- ابن سيدة- المخصص- (معجم)
- خديجة الحديثي المدارس النحوية- - دار الأمل- الأردن 2001م
- معمر منير العاني- مدارك النص التعليمي في المدونة النحوية الفصيحة- قراءة في العوائد والعوارض- (بحث) منشور في مجلة الأستاذ العدد الخاص بالمؤتمر الدولي السابع- بغداد 2019
- محمد البشري- مدخل التواصل اللغوي- معهد جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الرياض- السعودية 2007م
- السعيد شنوقة- مدخل إلى المدارس اللسانية- ط1- المكتبة الأزهرية للتراث- مصر 2008م
- عبد الرحمن الحاج صالح- مدخل الى علم اللسان الحديث- (بحث) مجلة اللسانيات المجلد2-العدد1- الجزائر1972م
- ابراهيم خليل- مدخل الى علم اللغة- ط2- دار المسيرة للطباعة والنشر 2014م.
- السيوطي- المزهر- تحقيق محمد عبد الرحيم- ط1- دار الفكر- بيروت 2005م
- العكبري أبو البقاء- مسائل خلافية في النحو- حققه د.عبد الفتاح سليم- مكتبة الآداب- القاهرة 2004م

- ميساء ابو شنب وفرات العتيبي- مشكلات التواصل اللغوي- ط1- مركز الكتاب الأكاديمي- الأردن – عمان ٢٠١٥ م
- الفيومي-المصباح المنير- (معجم)
- معجم اللغة واللسانيات- هارتمان وستوك- ترجمة د. توفيق عزيز وآخرين- ط1- دار المأمون للنشر بغداد 2012م
- جون أ.هيود- المعجمية العربية نشأتها ومكانتها في تاريخ المعجمات العام- ترجمة د.عناد غزوان- مطبعة المجمع العلمي العراقي 2004م
- ابن هشام الأنصاري- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب- تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد- د.ط- د.ت
- الرازي-مفاتيح الغيب- ط1- المطبعة البهية- مصر 1938م
- تمام حسان- مقالات في اللغة والأدب، تشقق المعنى- ط1- عالم الكتب- القاهرة 2006م
- ابن فارس- مقاييس اللغة- (معجم)
- عبد القاهر الجرجاني- المقتصد في شرح الإيضاح- تحقيق د.كاظم بحر المرجان- دار الرشيد- بغداد 1982م
- المبرد-المقتضب- تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة- ط3- القاهرة 1994م
- ابن خلدون- مقدمة ابن خلدون- تحقيق درويش الجويدي- المكتبة العصرية- لبنان 2006م
- إدوارد لين- مقدمة لين لمعجمه "مدّ القاموس"- ترجمة د.محسن آل ياسين مطبوعات المجمع العلمي العراقي- ندوة المعجمية العربية 1992م
- صارة تونسي- منهج النحاة القدامى في دراسة النحو كتاب الإيضاح في علل النحو للزجاجي أنموذجا- (دراسة أكاديمية) الجزائر 2017م
- نوزاد حسن- المنهج الوصفي في كتاب سيبويه- ط1- منشورات جامعة قاريونس بنغازي- ليبيا 1996م
- سلامة عبد القادر المراقي - منير الدياجي في تفسير الأحاجي - للسخاوي- دراسة وتحقيق -(أطروحة دكتوراه) جامعة أم القرى- السعودية 1985م
- رافد صباح وبلال ابراهيم- المهارات اللغوية ودورها في التواصل اللغوي- (بحث) مجلة مداد الآداب مج1 العدد11 سنة 2015م
- هناء محمود اسماعيل-النحو القرآني في ضوء لسانيات النص- ط1- دار الكتب العلمية- بيروت2012م.
- محمد العبد- النص والخطاب والاتصال- الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي- مصر 2014م
- دي بوجراند- النص والخطاب والإجراء- ترجمة د.تمام حسان- ط1- عالم الكتب- 1998م

- القريشي صالح هادي- النصية بين المعايير السبعة وقرائن أخرى- (بحث) مشارك في وقائع المؤتمر جامعة بابل 2019م
- محند الركيك- نظرية التواصل في ضوء اللسانيات الحديثة- (بحث) منشور في مجلة علامات العدد24
- نعمة دهش- النظرية التواصلية مقاربة في النشأة والمفهوم والإجراء- (بحث منشور) مجلة الاستاذ- عدد خاص بالمؤتمر العلمي الخامس 2017م
- نهاد الموسى- نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث- ط1- المؤسسة العربية للدراسات والنشر- 1980هـ
- الماوردي-النكت والعيون- تحقيق خضر محمد خضر- ط1- مطابع مقهوي- الكويت 1982م
- الماوردي-النكت والعيون- راجعه السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم- ط3- دار الكتب العلمية 2012م
- النويري- نهاية الأرب في فنون الأدب- نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية- مطابع كوستاتسوماس- القاهرة د.ت
- السيوطي- همع الهوامع- دار المعرفة للطباعة- بيروت 1415هـ